كتاب تصبيحة الملوك بلسان العربية ١٥ سح

اياصوفيه
٧٨٦٢

كتاب نصيحة الملوك من اللغة الفارسية

٢٢

٤٨٦٦

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البر والبحر خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا
لمن طالع واستفاد وأبان واستعد حلد الله ملكه
الأمجد حرره الفقير أحمد مسيح زاده المفتي
بأوقاف الحرمين الشريفين
عفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على إنعامه وافضاله والصلوة على محمد النبي واله

وبعد فانه سالني بعض المتقدمين الاكابر ان انقل هذا الكتاب

وهو نصيحة الملوك من اللغة الفارسية الى الالفاظ العربية

فامتثلت ذلك ونقلته على ترتيبه وصورته ولم اغير شيئاً

من وضع الكتاب وصيغته فاجتهدت في تسهيل

عباراته وايضاح اشاراته قصداً لمستعمل الكلام ليكون

اقرب الى الافهام بقدرها بلغته بلاغته وافصحت عنه

فصاحته وترجمت عما استشهد به مؤلف الكتاب من الاشعار

الفارسية باشعار من العربية اشارة الى معانيها وتلويحاً

الى مقاصدها ومعانيها • وانا اعتذر من تقصيري غاية

الاعتذار اذا لم اكن من فرسان هذا المضمار فليتجاوز

عن قصوري بطولهم الكرماء وليصفح عن نقصه

بفضلهم العلماء ومن وجد في كلامه خللاً فسبيله

او اصابه زللاً فغيره حاز بذلك جزيل الاجر وجميل

الذكر وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

قال الشيخ الامام العارف حجة الاسلام شرف الائمة

ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه يخاطب

السلطان محمد بن ملك شاه اعلم يا سلطان العالم وملك

الشرق والغرب ان الله تعالى جدد عليك نعماً ظاهرة وآلاءً

متكاثرة ويجب عليك شكرها وتتعين اذاعتها ونشرها

ومن لم يشكر نعم الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه فقد

عرض تلك النعمة للزوال وخجل من تقصير يوم القيمة وكل

نعمة تفنى بالموت فليس لها عند العاقل قدر ولا عند اللبيب

خطر لان العمر وان تطاولت مدته لا ينفع طوله اذا

انقضى امده وفني عدده فان نوحاً عليه السلام عاش الف

سنة وزياده ومن حين موته الى الان خمسة الاف سنة

وكانه لم يكن فالقدر للنعمة التي تبقى على الدوام مدة

الليالي والايام وهي نعمة الايمان التي هي بذر السعادة

المؤبّدة والنّعمة المخلّدة والله جلّت قدرته وعلت كلمته
قد خوّلك هذه النّعمة وزرع بذر الايمان في صدرك واودعه
في قلبك وسرّك ومكّنك من تربية ذلك البذرة وامرك
ان تسقيه ماء الطاعة حتّى تصير شجرة اصلها في قعر الارض
السّفلى وفرعها في السّموات العلى كما قال عزّ من قائل الم تر كيف
ضرب الله مثلاً كلمة طيّبة اصلها ثابت وفرعها في السّماء
فاذا انبتت شجرة الايمان ولم يكمّل فرعها يخاف عليها من هبوب
رياح الجنوب وريح الموت وعواصف الضّوت فتقلع عند
النّفس الاخير من الدّنيا فيبقى العبد والعياذ بالله بغير ايمان
ويلقى ربّه بغير احسان واعلم ايّها الملك انّ لهذه الشجرة
عشرة اصول وعشرة فروع فاصلها الاعتقاد بالجنان
وفرعها العمل بالاركان ولمّا صادف القول من المجلس
العالي شرح الله هذه العشرة اصول والعشرة فروع لتشتغل
سلطان العالم بتربية هذه الشجرة وانّما يصحّ ذلك له اذا
افرد يوما من ايّام الاسبوع لعبادة ربّه والاشتغال فيه

بعمل الاخرة وهو يوم الجمعة لانّه عيد المؤمنين وفيه ساعة
شريفة من سأل الله فيها حاجة بنية صالحة وسريرة طاهرة
فانّه جلّ ذكره يقضي حاجته ويجيب دعوته وماذا عليك
ايّها الملك اذا افردت يوما من الايام السّبعة لخدمة ربّك
فانّه لو كان لك عبد وامرته ان يشتغل بك في كلّ اسبوع يوما
واحدا بخدمتك لتهب له تقصيره في الايام السّتة فخالفك
ذلك العبد كيف يكون حاله عندك مع انّ العبد لست تخالقه
وانّما هو عبدك مجازا وانت عبد مخلوق للخالق تعالى وعبد على
الحقيقة فلم ترضى من نفسك ما لا ترضاه من عبدك فينبغي
عليك ان تنوي القيام ليلة الجمعة وان اضفت اليه الخميس
كان اولى وقم الجمعة ضحى واغتسل غسل الجمعة والجنابة
ان احتجت الى ذلك والبس من الثياب ماله ثلاث صفات
احدها ان يكون حلالا وان يكون ابريسما فيكون في الصّيف
الدّبيقي والقصبي والكتّان وفي الشّتا الخزّ والقطن
والصوف النّاعم الرّومي وكلّ ثوب يكون على غير هذه

الصّفة فانّه حرام ولا يرضاه الله تعالى وصلّ الصّبح جماعة
ولا تتكلم حتّى تطلع الشّمس مستقبل القبلة ولا تحوّل وجهك
عن القبلة وخذ السّبحة في يدك وقل لا اله الّا الله محمد رسول
الله الف مرّة فاذا طلعت الشّمس فامر قاريًا يقرأ عليك هذا
الكتاب وكذلك يقرأ عليك في كلّ جمعة ليحصل في
محفوظك فاذا قرأ القاري هذا الكتاب فصلّ اربع ركعات
وسبّح الى وقت الضّحى فانّ ثواب هذه الصلوة عظيم وخاصّة
يوم الجمعة وبعد ذلك اذا كنت على سرير ملكك وكنت
في خلوة فقل اللّهم صلّ على محمّد واله محمّد مهما امكنك
وان تتصدّق في هذا اليوم واجعل هذا اليوم الواحد من ايّام
الاسبوع لله تعالى ليجعل الله ذلك الاسبوع مكفّرًا عنك ابتدأ
قاعدة الاعتقاد الّذي هو اصل الايمان **اعلم** يا سلطان العالم
انّك مخلوق ولك خالق وهو خالق العالم وجميع من في
الارض وانّه واحد لا شريك له فرد لا مثل له كان في الازل
وليس لكونه زوال ويكون مع الابد وليس لبقائه فناء وجوده

في الازل والابد واحد وما للعدم اليه سبيل وهو موجود
بذاته وكلّ احد اليه محتاج وليس له الى احد احتياج وجوده
به ووجود كلّ شيء به **الاصل الثاني** في تنزيه الخالق
سبحانه وتعالى **اعلم** انّ الباري تعالى ليس له صورة ولا قالب
وانّه لم يزل ولم يحلّ في قالب وانّه منزّه عن الكيف والكم
وعن ولم اذا ولم وانّه لا يشبه بشيء من الاشياء ولا يشبهه
شيء وكلّما يخطر في الوهم والجنان والفكر من التّكيّف
والتّمثّل فانه منزّه عن ذلك لانّ تلك الصّفات المخلوقين وهو
خالقها فلا يشبه بها وانّه تعالى جدّه ليس في مكان ولا
على مكان لانّ المكان لا يحصره وكلّ ما في العالم فانّه
تحت عرشه وعرشه تحت قدرته وتسخيره وانّه مقدّس
عن الحاجة كان قبل العرش منزّه عن المكان وليس العرش
بحامل له بل العرش وحملته بحملهم بلطفه وكرمه وانّه
مقدس عن المكان قبل خلق العرش وبعد خلقه وانّه
متّصف بالصّفة الّتي كان عليها بالازل فلا سبيل للتّغيّر

والانقلاب الى صفاته وهو سبحانه مقدّس عن صفات المخلوقين
متنزّه وهو في الدّنيا معلوم وفي الاخرة مريّ كما يعلمه في
الدّنيا بلا مثل ولا شبيه لا تلك الرّؤية لا تشابه رؤية الدّنيا
وهو كقوله تعالى ليس كمثله شيء **الاصل الثاني في القدرة**
اعلم انّه تعالى على كلّ شيء قدير وانّ قدرته وملكه في نهاية
الكمال فلا سبيل للعجز والنّقصان اليه بل ما شاء فعل وما
يشاء يفعل وانّ السّموات السّبع والكرسي والعرش في قبضته
وقدرته وتحت قهره وتسخيره ومشيئته هو مالك الملك لا
ملك الّا ملكه **الاصل الرابع والخامس في العلم** اعلم انّ الله تعالى
عالم بكلّ معلوم وعلمه محيط بكلّ شيء فليس في الملأ
الاعلى الى الثّرى شيء الّا وقد احاط به علما لانّ الاشياء جميعها
بعلمه ظهرت وبقدرته انتشرت وانه تعالى يعلم عدد ما في
القفار وقطرات الامطار وورق الاشجار وغوامض
الافكار وازدراش الرّياح والهواء في علمه ظاهر
مثل عدد نجوم السّماء وانّ جميع ما في العالم بارادته

ومشيئته وليس شيء من قليل وكثير صغير وكبير خير وشرّ نفع
او ضرّ زيادة او نقصان راحة او نصب صحّة او مرض الّا
بحكمته وتدبيره ومشيئته وقدرته ولو اجتمع الانس
والجنّ والملائكة والشّياطين على ان يحرّكوا في العالم ذرّة
او يسكنوها او ينقصوا منها او يزيدوا فيها بغير ارادته
وحوله وقوته لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا وما شاء كان
وما لم يشاء لم يكن ولا يردّ مشيئته شيء ومهما كان
ويكون وهو كائن فانّه بتدبيره وامره وتسخيره **الاصل**
الثّالث انّه سميع بصير وكما انّه عالم بجميع المعلومات فانّه
سميع بالكلّ بصير بكلّ مرئيّ وانّ القريب والبعيد
في سمعه متماثل والضّياء والظّلام في نصره شيء واحد
وانّه يرى دبيب النّملة في اللّيلة الظّلماء ولا يخفى عنه ولا يعزب
عن سمعه صوت الدّودة تحت الاطباق الارض لانّ سمعه ليس
باذن ونظره ليس بعين وكما انّ علمه لا يصدر عن فكره
ففعله بغير آلة وعدّة لكنّه يقول للشيء كن فيكون

الاصل السابع في الكلام اعلم انّ امره على جميع الخلق نافذ
واجب ومهما اخبر به من وعدا و وعيدٍ فانّه حقّ وامرُه
وكلامه وكما انّه عالم قدير سميع بصير فهو متكلّم
وكلامه بغير حرفٍ ولا خلق ولا لسان ولا فم ولا اسنان
والقران والتوراة والانجيل والزّبور والكتب المنزلة
على الانبياء عليهم السّلام جميعها كلامه وكلامه صفته
وكل صفاته قديمة لم يزل وكما انّ الكلام عند الادباء
حرف وصوت فكلام الله تعالى منزّه عن الحرف والصّوت

الاصل الثامن في افعاله تعالى وجميع ما في العالم مخلوق
له وليس معه شريك ولا خالق بل هو الخالق لواحد ومهما
خلقه من تعب ونصب ومرض وفقرٍ وعجزٍ ونجل فعدل
منه ولا يمكن الظّلم من افعاله لانّ الظّالم الذي يتصرّف
في ملك غيره والخالق تعالى لا يتصرف الّا في ملكه وليس
معه مالك سواه وكلّ ما كان ويكون وهو كائن فهو ملكه
وهو المالك بلا شبيهٍ ولا شريكٍ وليس لاحد عليه اعتراض

بلم وكيف ولكن الحكم والامر في كلّ افعاله اليه وما
لاحد غير التّسليم والنظر الى صنعته والرّضى بقضائه الاصل
التّاسع في ذكر الاخرة اعلم انّ الله تعالى خلق العالم من
نوعين من شخصين وروح وجعل الجسد منزلا للرّوح لياخذ
زاده للاخرة من هذا العالم وجعل لكلّ روح مدّة مقدّرة
يكون في الجسد اجر تلك المدّة هو اخر الرّوح وخروجها
منه من غير زيادة ولا نقصان فاذا جاء الاجل فرق بين الرّوح
والجسد واذا وضع الميّت في قبره اعيدت روحه الى جسده
ليجيب سؤال منكر ونكير وهما شخصان هايلان عظيمان
يسالانه من ربّك ونبيّك فان لم يجب عذباه وملاء قبره
حيّات وعقارب الى يوم القيمة ويوم القيمة يوم الحساب
والمكافاة والمناقشة والمجازاة ترد الرّوح الى الجسد
وتنشر الصّحف وتعرض الاعمال على الخلايق فينظر كلّ انسان
في كتابه فيرى اعماله ويشاهد افعاله ويعلم مقدار طاعته
ومعصيته وتوزن اعماله في ميزان الاعمال ثم يوم بالجواز

على الصراط والصراط ادق من الشعرة واحد من الشفرة فمن
كان في هذا العالم على الطريقة المستقيمة الصالحة وسلوك
المحجة الواضحة عبر على الصراط وجاز بخير وسلامة وراحة
واستراحة وان لم يكن على السيرة المحمودة والاعمال الصالحة
وعصى مولاه واتبع هواه فانه لا يجوز على الصراط ولا يحد
الجواز ولا يهتدي الطريق ويقع في جهنم والكل يقفون
على الصراط ويسالون عن افعالهم فيسال الصادقون عن صدقهم
ويمتحن المنافقون والمراؤون ويفتضحون فمن الناس قوم يدخلون
الجنة بغير حساب وجماعة يحاسبون برفق ومسامحة ثم
يسحب الكفار الى نار جهنم فلا يجدون خلاصا ويدخل
اهل الاسلام المطيعون الى الجنة ويؤمر بالعصاة الى النار فكل
من تنال له شفاعة نبي او عالم او صالح او ولي عفي عنه وكل
من ليس له شفيع عوقب بمقدار جرمه **الاصل العاشر** في
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما قدر الله تعالى
هذا التقدير وجعل افعال الانسان احواله واكتسابه

واعماله منها ما هو سبب لشقاوته ومنها ما هو سبب لسعادته
والانسان لا يقدر ان يعرف ذلك من تلقاء نفسه خلق الله تعالى
بفضله ورحمته وطوله ومنته ملائكة وبعثهم الى اشخاص
قد حكم بهم السعادة في الازل وهم الانبياء عليهم السلام
فارسلهم الى الخلق ليوضحوا لهم طرق الهدى وطرق السعادة
والشقاوة لئلا يكون للناس على الله حجة وارسل رسوله محمدا
صلى الله عليه وسلم اخيرا وجعله بشيرا ونذيرا واوصل نبوته
الى درجة الكمال فلم يبق للزيادة فيها محال ولهذا جعله
خاتم الانبياء فلا نبي بعده وامر الخلائق من الجن والانس بطاعته
واتباعه وجعله سيد الانبياء وجعل اصحابه خير اصحاب
الانبياء عليهم السلام **ذكر فروع شجرة الايمان**
اعلم ايها السلطان انه كلما كان في قلب الانسان
من معرفة واعتقاد فذلك اصل الايمان وما كان جاريا على
اعضائه السبعة من الطاعة والعدل فذلك فرع شجرة الايمان
فاذا كان ذابلا ذاويا دل على ضعف الاصل وانه لا يثبت

عند الموت وعمل البدن عنوان ايمان القلب والاعمال التي
هي فروع الايمان فهي تجنب المحارم واداء الفرايض وهما قسمان
احدهما ما بينك وبين الله تعالى كالصوم والصلاة والحج
والزكوة واجتناب الخمر والعفة عن المحارم والثاني ما بينك وبين
الخلق وهي العدل في الرعية والكف عن الظلم والاصل في
ذلك ان تعمل فيما بينك وبين الخالق تعالى من طاعة امره والاجتناب
بزجر ما يختار ان يعتمده عندك وفي حقك وان تعمل فيما
بينك وبين الناس ما تؤثر ان يعمل معك من سواك اذا كان غيرك
السلطان وكنت من رعيته واعلم انه ما كان بينك وبين الخالق
سبحانه فان عفو قريب واما ما يتعلق بمظالم الخلق فانه لا
ينجاوزه عنك على كل حال وخطره عظيم ولا يسلم من
هذا الخطر احد من الملوك الا ملك قام بالعدل ليعلم كيف
تطلب العدل منه والانصاف يوم القيمة واصول العدل
والانصاف عشرة **الاصل الاول** من ذلك ان تعرف اولا
قدر الولاية وتعرف خطرها فان الولاية نعمة من نعم الله عز

وجل من قام بحقها قام ونال من السعادة ما لا نهاية لسعادة
بعده ومن قصر عن النهوض بحقها حصل في شقاوة لا شقاوة
بعدها الا الكفر بالله تعالى والدليل على عظم قدرها
وجلال خطرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
عدل السلطان يوما واحدا خير من عبادة سبعين سنة و
قال عليه السلام اذا كان يوم القيمة لا يبقى ظل
ولا ملجاء الا ظل الله ولا يستظل بظله الا سبعة سلطان عدل
في رعيته وشاب يشاء في عبادة ربه ورجل يكون في السوق
وقلبه معلق في المسجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه
وافترقا عليه ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال
اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله
ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وقال
عليه السلام احب الناس الى الله واقربهم اليه السلطان
العادل وابعضهم اليه وابعدهم منه السلطان الجابر
وقال والذي نفس محمد بيده ليرفع السلطان العادل

الى السماء من العمل كاعمال الخلايق وكل صلوة يصليها
تعادل سبعين الف صلوة واذا كان الحال كذلك فلا نعمة
اجل من ان يعطى الانسان درجة السلطنة ويجعل ساعة من عمره
بجميع عمر غيره ومن لم يعرف قدر هذه النعمة واشتغل بظلمه
وهواه يخاف عليه ان يجعله الله من جملة اعدائه ومما يدل
على خطر الولاية ما روي ابن عباس ان رسول الله صلى الله
وسلم لزم حلقة باب الكعبة وكان في البيت نفر من قريش
فقال عليه السلام يا سادات قريش عاملوا رعاياكم
واتباعكم بثلاثة اشياء اذا سألوكم الرحمة فارحموهم
واذا حكموكم فاعدلوا فيهم واعملوا بما يقولون فمن لم يعمل
بهذه فعليه لعنة الله والملائكة ولا يقبل الله منه فرضا
ولا نفلا وقال عليه السلام من حكم بين اثنين فظلم
فلعنة الله على الظالمين وقال عليه السلام ثلاثة لا ينظر
الله اليهم يوم القيمة شيخ زان وملك كذاب وفقير متكبر
يعني يتكبر للطمع وقال عليه السلام يوما للصحابة سيأتي

عليكم يوم تفتحون فيه جانب الشرق والغرب ويصير
في ايديكم فكل عمال تلك الاماكن في النار الا
من اتقى الله وسلك سبيل التقوي وادي الامانة وقال عليه
السلام ما من عبد ولاه الله امر رعيته فغشهم ولم ينصح لهم
ولم يشفق عليهم الا حرم عليه الجنة وقال عليه السلام
من ولي امور الناس ولم يحفظهم كحفظه اهل بيته فقد بوء
مقعده من النار وقال عليه السلام رجلان من امتي يحرمان
شفاعتي ملك جابر ومبتدع عامل في الدين بتعدي الحدود
وقال عليه السلام خمسة غضب الله عليهم ان شاء امضاء
غضبه ويصيرهم الى النار امير قوم يأخذ حقه منهم ولا
ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم ورئيس قوم يطيعون
يساوي بين القوي والضعيف ويحكم بالميل والمحاباة و
رجلا لا يأمر اهله واولاده بطاعة الله ولا يعلمهم امور دينهم
ولا يبالي من اين يطعمهم ورجل استأجر اجيرا فاتم عمله ومنعه
اجرته ورجل ظلم زوجته من صداقها وقال عليه السلام

اشدّ النّاس عذابا يوم القيمة السّلطان الظّالم يروي انّ عمر
بن الخطاب رضي الله عنهُ تبع جنازه فوقف رجل فصلّى على
الجنازة فلمّا دفن الميّت رفع ذلك الرّجل يده قال اللّهمّ ان
عذبته فخفف لانّه عصاك وان رحمته فانه فقير الى رحمتك
وطوبى لك ايّها الميّت ان لم تكن اميرا او عريفا او عوانيا او
خانيا فلم اتكلّم بهذه الكلمات غاب شخصه عن عيون
النّاس فامر عمر بطلبه فلم يجده فقيل انّه كان الخضر عليهُ
السّلام وقال النبيّ عليهُ السّلام ويل للامراء وويل للعرفاء
وويل للعوانية فانّهم اقوام يعقلون بين السّماء والارض
بذوابيهم يوم القيمة يوذون لو لم يعملون عملا قط و
قال عليهُ السّلام ما من رجل ولّي امر عشرة من النّاس
الّا وجئ بهُ يوم القيمة ويداه مغلولتان الى عنقهُ فان
كان عمله صالحا فكّ الغلّ عنه وان كان عملهُ سيّأ
زيد الغلّ الاخر وقال علي ابي طالب عليه السّلام ويل لقاضي
الارض من قاضي السّماء حين يلقاه الّا من عدل وقضى بالحقّ

ولم يحكم بالهوى ولم يمل مع اقاربهُ ولم يبدّل حكما
لخوف او طمع لكن يجعل كتاب الله مرائة ونصب عينهُ
ويحكم ما فيهُ وقال النّبي صلّى الله عليهُ وسلّم يوتى
بالولاة يوم القيمة فيقول الله عزّ وجلّ اشم رعاهُ خليفتي
وخزنته ملكي في ارضي ثمّ يقول لاحدهم لم ضربت عبادي
فوق الحدّ الّذي امرت فيقول يا ربّ انّهم عصوك وخالفوك
فيقول الله عزّ وجلّ لا ينبغي ان يسبق غضبك غضبي ثمّ يقول
للاخر لم ضربت عبادي اقلّ من الحدّ الّذي امرت بهُ فيقول الهي
رحمتهم فيقول الله عزّ وجلّ كيف تكون ارحم منّي خذوا
الّذي زاد والذي نقص فاحشوهم زوايا جهنّم وقال
خديفة ابن اليمان انا لا اثني على احدٍ من الولاة سواءً كان صالحا
او غير صالح لاني سمعت رسول الله صلى الله عليهُ وسلّم
يقول يوتى بالولاة الظّالمين والعادلين يوم القيمة فيوقفون
على الصّراط فيوحي الله الى الصّراط ان يلفظهم الى النّار كلّ
من جار في الحكم واخذ رشوة على القضاء او اعار

سمعه لاحد الخصمين دون الاخر فيسقطون من الصراط
فيهوون سبعين سنةً في النار حتّى يصلون الى القرار وجاء
في الخبر انّ داود عليهُ السّلام كان يخرج بالليل مشكرا
بحيث لا يعرفهُ احد فيسال كل من يلقاه عن داود فجاءهُ
جبرئيل عليهُ السّلام يوما في صورة رجلٍ فقال له ما
تقول في داود فقال جبرئيل نعم العبد داود الّا انّه يا كل
من بيت المال ولا يا كل من كدهُ وصنعتهُ فعاد داود
الى محرابه باكيًا حزينا وقال اللّهمّ علّمني صنعة اكل
بها من كدي وتعبي فعلّمه الله صنعة الدّروع وكان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخرج في كلّ ليلة يطوف
مع العسس حتّى يرى خللا فيداركهُ وكان يقول لو تركت
عنز اجرباً على شاطئ الفرات لخشيت ان سال عنها يوم القيمة فانظر
ايّها السّلطان مع احتياط عمر وعدله وما وصل احد الى
هناه وهذا تفكره وخوفهُ من اهوال يوم القيمة وانت
قد جلست لاهيًا عن احوال رعيّتك غافلا عن اهل فلانيك

قال عبد الله بن عمر وجماعة من اهل بيتهُ انّا كنّا ندعو الله
تعالى ان يرينا عمر في المنام فرايتهُ بعد اثنى عشر سنة وكانّهُ
قد اغتسل وهو ملتحف بازار فقلت له يا امير المؤمنين
كيف رايت ربّك وباىّ حسنات جازاك فقال يا عبد
الله لمّا من حيث فارقتكم كنت في الحساب وخفت ان
اهلك لولا انّ الله تعالى غفور رحيم جواد كريم فهذه حاله
عمر ولم يكن له من دنياه الّا الدن

حكايت

ارسل قيصر ملك الرّوم رسولا الى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه لينظر احواله ويشاهد افعاله فلمّا دخل المدينة سال
عن عمر اين ملككم قالوا ما لنا ملك ولكن لنا امير وقد
خرج الى ظاهر المدينة فخرج الرّسول في طلبهُ فراه نايمًا في
الشّمس فوق الرّمل الحار وقد وضع رداءه تحت راسه كالوسادة
والعرق يسقط من جبينهُ وقد بلّ الارض فلمّا راه على تلك
الحال وقع الخشوع في قلبه وقال في نفسهُ رجل تكون الملوك
تخافهُ ولا يقربهم فرار من هيبتهُ ويكون هذا حالته ولكن

يا عمر عدلت فامنت ونمت وملكنا فحرنا فلاجرم
لا يراك خايفا ساهرا اشهد انّ دينكم دين الحقّ ولولا
انّي اتيت رسولا لاسلمت ولكن ساعود بعدها واسلم فاعلم
ايّها السّلطان انّ خطر الولاية عظيم وخطبها جسيم
والشّرح في ذلك يطول ولا يسلّم الوالي الا بمصاحبة اهل
الدّين والعلماء ليعلموا طريق العدل وينبّهوا عليه خطر
هذا الامر الاصل الثاني ان يشتاق ابدا الى رؤية العلماء
ويحرص على استماع قولهم وان يحذر من علماء السّوء الّذين
يخوضون في الدّنيا فانّهم يغرّونك ويطلبون رضاك
طمعا فيما في يدك من الطعام والحطام ليحصلوا منه شيئا
بالمكر والحيل والعالم الصّالح الّذي لا يطمع فيما عندك
من الدّنيا وينصحك في الموعظة والمقال كما يقال انّ شقيق
البلخي دخل يوما الى هرون الرّشيد فقال له انت شقيق الزاهد
فقال انا شقيق ولست بزاهد فقال له اوصني فقال انّ
الله تعالى قد اجلسك مكان ابي بكر الصّدّيق وانه يطلب
منك مثل صدقه واعطاك موضع عمر بن الخطاب وانّه
يطلب منك الفرق بين الحقّ والباطل واعطاك موضع عثمان
بن عفّان ويطلب منك مثل كرمه وحيائه واجلسك
مكان علي بن ابي طالب وهو يطلب منك العدل والعلم
والانصاف والفقر والزهد كما يطلب منه ففال
زدني من وصيّتك قال نعم اعلم انّ الله تعالى دارا تعرف
بجهنّم وجعلك بواب تلك الدّار واعطاك ابوابا ثلاثة
بيت المال والسّيف والسّوط وامرك ان تمنع الخلق من اعتداء
بعضهم على بعض بهذه الثلثة فمن جاءك محتاجا فلا تمنعه
من بيت المال ومن خالف امر به تادّبه بالسّوط ومن
قتل نفسا تادّبه بالسّيف واقتله باذن وليّ المقتول
فان لم تفعل ذلك تكون الزّعيم لاهل النّار المتقدم
الى دار البوار فقال زدني من الوصيّة فقال انّما مثلك
كمثل معين الماء ومثل سايز العالم كمثل السّواقي فاذا
كدر لا ينفع صفاء السّواقي فيقيل خرج هرون الرّشيد

والعبّاس ليلة الى زيارة الفضل بن عياض فلمّا وصلا
الى بابه وجداه يتلوا قوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا
السّيّئات ان نجعلهم كالّذين امنوا وعملوا الصّالحات
ومعناها ام حسب الذين يجترحون اى يكتبون الخطايا
ويعلمون الاعمال المذمومة ان يساوى بينهم فى الاخرة
وبين الّذين يعملون الخيرات وهم مومنون كلاسأ
ما يحكمون فقال هرون الرّشيد ان كان قد جئنا
لموعظة فهذه موعظة وكفى بها موعظة ثمّ امر العبّاس
ان يطرق عليه الباب فطرق الباب وقال افتح لامير المؤمنين
فقال الفضل وما يصنع عندى امير المؤمنين فقال اطع
امير المؤمنين وافتح الباب وكان ليلة المصباح
يتّقد فطفاه وفتح الباب فدخل الرّشيد وجعل يطوف
ليصافح الفضل فوقعت يده عليه فقال لويل لهذا اليد
الناعمة ان لم تنج غدا من عذاب جهنّم ثمّ قال يا امير
المؤمنين استعد لجواب الله فانّه يوقفك مع كلّ واحد

على حدّة ويطلب منك انصافك يا فبكى هرون الرّشيد بكاء
شديدا فقال العبّاس مهلا يا فضل فقد قتلت امير المؤمنين
الفضيل ها ما زانت وقومك قتلتموه فقال الرّشيد
ما جعلك ها ما ان الا وقد جعلنى فرعون ثمّ وضع الرّشيد
بين يديه كيسا فيه الف دينار وقال هذا من وجه
حلال من صداقى امى وميراثها فقال له الفضل انا امرك
ان ترفع يدك عمّا فيها وتعود الى خالقك وانت يلقيها ولم
تقبّلها ثمّ خرج من عنده **نكتة** سال عمر بن عبد العزيز
محمّد بن كعب القرظى وقال له صف لى العدل فقال
كل مسلم هو اكبر منك شيئا فكن له ولدا ومن
كان اصغر منك فكن له والدا ومن كان مثلك
فكن له اخا وعاقب كل مجرم عنّى فيدرجرمه واياك
ان تضرب مسلما سوطا واحدا على حقد منك عليه يصير
الى النّار **نكتة** حضر ابو قلابة بين يدى الخليفة فقال له
عظنى فقال من عهد ادم الى وقتنا هذا لم يبق خليفة سوك

فقال زدني فقال انت ولي خليفة يموت فقال زدني فقال
ان كان الله معك فمن تخاف وان لم يكن معك الى من تلتجئ
فقال حسبي بما قلت نكتة كان سليمان بن عبد الملك
بن مروان خليفة فتفكر وقال قد تنعمت في الدنيا طويلا
فكيف يكون غدا حالي في الاخرة وانفذ الى ابي حازم
وكان زاهدا هل زمانه وعالمهم وقال ابعث لي شيئا من
قوتك الذي تفطر عليه فانفذ له قليلا من النخالة وقد عزلها
وقال هذه فطوري فطرها فلما رآها سليمان بكى واثر في
قلبه الخشوع تاثيرا كثيرا وصام ثلثة ايام وطوى لياليها
وافطر الليلة الثالثة على تلك النخالة فقيل انه تلك الليلة
جامع اهله فولدت عمر بن عبد العزيز بن مروان فكان اوحد
زمانه في عدله وانصافه وزهده واحسانه وكان على طريقة
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان ذلك ببركة
صومه وحسن نيته واكله من ذلك الطعام نكتة
سئل عمر بن عبد العزيز ما كان سبب توبتك قال ضربت

يوما غلاما لي فقال غلامي اتذكر الليلة التي صبحتها القيمة
فعمل ذلك الكلام في قلبي نكتة راي بعض الاكابر
هرون الرشيد في عرفات وهو حافٍ حاسرٌ قائمٌ على الرمضاء وقد
رفع يده ويقول الهي اين انت وانا وانا دائما ان اعود كل يوم
الى عصيانك ودابك ان تعود علي برحمتك وغفرانك فقال
ذلك الرجل لاصحابه انظروا الى تضرع خيار الارض بين يدي
جبار السماء نكتة سال عمر بن عبد العزيز لابي حازم
الموعظة فقال له ابو حازم اذا تمنيت فاجعل الموت تحت
راسك فكلما احببت ان يزيلك الموت وانت مصر فالزمه
فربما كان الموت قريبا فينبغي لصاحب الولاية ان يجعل هذه
الحكاية نصب عينه وان يقبل الموعظة التي وعظ بها
غيره وكلما راى عالما زاهدا ساله ان يعظه وينبغي
للعالم ان يعظ الملوك بمثل هذه المواعظ ولا يغيرهم ولا يزجر
عنهم كلمة الحق وكل من غرهم فهو منافق مشارك
لهم في ظلمهم الاصل الثالث من ذلك ان لا يقنع برفع

يدك عن الظّلم لكن بهدف غلمانك واصحابك وعمّالك
ونوابك فلا ترضي لهم بظلمهم فانّك تسال عن ظلمهم كما تسئل
عن ظلم نفسك نكتة ٢ كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنهُ
الى عاملهُ ابى موسى الاشعريّ امّا بعد فانّ اسعد الولاة من
سعدت بهُ رعيّته واشقيهم فى الدّارين من شقيت به رعيته
فاياك والتبسط فان عمّالك تقيدون بك وانّما مثلك كمثل
دابة اتت مرعى اخضر واكلت منه حتّى سمنت فكان سمنها
سبب هلاكها لانّ بذلك السّمن تذبح وتوكل وفى النّوبة
كل ظلم عمله السّلطان انّه من عماله فسكت عنه كان ذلك
الظّلم منسوبا اليه واخذ به وعوقب عليهُ وينبغى لمن اراد حفظ
العدل ان يعلم انّه ليس احد اشد غبنا ممن باع دينه بدنياهُ
غيره وجميع الغلمان والعمال لاجل محبّتهم الدّنيا يعزون الوالى
ويحسنون الظّلم عنده فيلقونه فى اثامه ليصلوا الى اغراضهم
واى عداوة اشدّ ممّن يسعى فى هلاك نفسهُ لاجل الدّنيا
وتحصيلها وفى الجملة ينبغى للملك العادل ان يترتب غلمانه

وعمّاله ويعلمهم العدل ويحفظ احوال العمّال وينظر فيها
كما ينظر الى احوال اهلهُ واولادهُ ومنزلهُ ولا يتم له
ذلك الّا بحفظ شهوتهُ وغضبه على دينه وعقله ولا يجعلهما
اسرى شهوتهُ وغضبه بل يجعل شهوته وغضبه لله ليصل الى
مرادهُ ويعلم انّ العقل من جوهر الملائكة ومن جند البارى
جلّ قدرته وانّ الشّهوة والغضب من جند الشّيطان فمن
يجعل جند الله وملائكتهُ اسرى جند الشيطان فكيف يعدل
فى غيرهم واوّل ما تظهر شمس العدل فى الصّدر ثم تنتشر
نورها فى اهل البيت وخواص الممالك ويصل شعاعها
الى رعيّتهُ ومن طلب الشعاع من غير الشمس فقد طلب المحال
وطمع فيما لا ينال واعلم ايّها السلطان وتبيّن انّ ظهور
العدل من كمال العقل وكمال العقل ان يرى الاشياء
كما هى ويدرك حقايق باطنها ولا يغترّ بظاهرها مثل
ان يجور على النّاس لاجل الدّنيا فينظر اىّ شئ مقصودك من
من الدّنيا فان كان مقصودك من الدّنيا لبس الدّيباج

فانك امراة في صورة رجل لان التزين والرعونة من اعمال
النساء وان كان مقصودك اكل الطعام الطيب فجب
ان تعلم انه شهوة بهيمة في صورة ادمي لان الشرة الى الاكل
من طبايع البهايم وان كان مقصودك ان يمضي غضبك على
اعدائك فانك سبع في صورة ادمي لان احضار الغضب
للقلب من طباع السباع وان كان مقصودك ان يخدمك
الناس فانت جاهل في صورة عاقل لانك لو كنت عاقلا
لعلمت ان الذي يخدمونك انما هم خدم وغلمان لبطونهم
وفروجهم وشهواتهم وان خدمتهم لانفسهم لا لك
وغلامه ذلك انهم لو سمعوا ارجافا ان الولاية تؤخذ
منك وتعطى ليسواك لاعرضوا جميعهم عنك وتقربوا
الى ذلك الشخص يكون موضعك وفي اي موضع علموا
الدراهم خدموا وسجدوا لذلك الموضع وعلى الحقيقة
ليست هذه خدمة وانما هي ضحكة والعاقل من ينظر
ارواح الاشياء وحقايقها ولم يغتر بصورتها وحقيقة

هذه الاعمال ما ذكرناه واوضحناه فكل من لم يتيقن
ذلك فليس بعاقل ومن لم يكن عاقلا لم يكن عادلا و
مقره النار فلهذا السبب كان راس مال السعادة العقل والله
اعلم **الاصل الرابع** من ذلك ان الوالي في الاغلب يكون
متكبرا ومن التكبر يحدث عليه السخط الداعي اليه
الانتقام والغضب عزل العقل وزواله وعدوه وافيه وقد
ذكرنا ذلك في كتاب الغضب في المهلكات واذا كان
الغضب عدوا فينبغي ان يميل في هذه الامور الى جانب العفو
ويتعود الكرم والتجاوز فاذا صار ذلك عادة ماثلت
الانبياء والاولياء ومتى جعلت امضاء الغضب عاده ما
تلت السباع والدواب **حكايت** يقال ان ابا جعفر المنصور
امر بقتل رجل والمبارك بن الفضل حاضر فقال له اسمع مني
كلاما قبل ان تقتله قال قل قال روى الحسن البصري عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيمة
وجمع الخلايق في صعيد واحد نادي منادي من كان له

عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفى عن الناس فقال
اطلقوه فاني قد عفوت عنه واكثر ما يكون الغضب للولاة
على من طول لسانه عليهم فانهم يسيئون في هلاكه
قال عيسى بن مريم عليه السلام ليحيى بن زكريا اذا ذكرك
رجل بشيء وقال فيك صحيحا فاشكر الله وان قال كذبا
فانه يزيد في ديوان حسناتك يعني ان حسناته تكتب لك في
ديوانك وانت مستريح وذكر عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجل فقيل ان فلانا رجلا قويا فقال كيف ذلك
فقال انه يقوى بكل احد ما صارع رجلا الا صرعه فقال
عليه السلام ليس الشديد بالصرع انما الشديد الذي يملك
نفسه عند الغضب وقال عليه السلام ثلاثة من كن فيه فقد
كمل ايمانه من كظم غيظه وانصف في حالتي رضاه
وغضبه وعفى عند القدرة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لا تعتمد على خلق احد حتى تجربه عند الغضب وخرج زين
العابدين بن علي بن الحسين عليهما السلام الى المسجد فسبه
رجل فقصدوه فلما انه ليضربوه ويؤذوه فنهاهم عنه ثم قال
لذلك الرجل ما هذا ما لا تعرفه مني اكثر مما عرفته فان
كان لك حاجة اذكره ذكرته لك فخجل الرجل واستحى
فخلع عليه زين العابدين قميصه وامر له بالف درهم فمضى
ذلك الرجل وهو يقول اشهد انك ابن رسول الله وقد
روي عن زين العابدين انه استدعى غلاما وناداه مرتين
فلم يجبه فقال له زين العابدين عليه السلام لم لم تسمع
قولي لك قال بلى قال فلم تجبني فقال لامنت منك وعرفت
ظهاره اخلافك فقال الحمد لله الذي امنني عبدي ويروي
ان غلاما له عمد الى رجل شاة فكسرها فقال له لم فعلت
هذا فقال كسرتها عمدا لاغيظك فقال وانا اغيظ الذي
علمك اذهب فانت حر لوجه الله تعالى ويروي عنه ايضا
ان رجلا سبه فقال زين العابدين يا هذا بيني وبين جهنم
عقبة ان انا جزتها فما ابالي بما قلت فان لم اجزها فانا اكثر
مما تقول وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد يبلغ

الرّجل لحلمه وعفوه درجة الصّايم القايم وقد يكون الرّجل
قد كثبت في جريدة الجبّارين ولا ولاية له ولا حلم الا على اهل
بيته وقال عليه السّلام لجهنّم باب لا يدخله الّا من اتّبع غضبه
بخلاف الشّرع ويروى انّ ابليس راى موسى عليه السّلام
فقال يا موسى علمك ثلاثة اشياء وتطلب لي من الله حاجة
واحدة فقال موسى وما الثلاثة فقال احذر الحدّة والغضب
والحرد فانّ الحرد يكون من خفيف الراس وانا العب بصاحبه
كما يلعب الصبيان بالاكرة واحذر من النّساء فاني ما
نصبت شركا اعتمد عليه مثل النّساء واحذر من البخل فاني
افسد على البخيل دينه ودنياه وقال رسول الله صلّى الله
عليه وسلّم من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه ملا
الله قلبه بالايمان ومن لم يلبس ثوبا طويلا خوفا من التّكبّر
والخيلاء البس من حلل الكرامة وقال صلى الله عليه
وسلم ويل لمن يغضب ويسيء غضب الله تعالى عليه وجاء
رجل الى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال يا رسول الله علّمني
عملا ادخل به الجنّة فقال لا تغضب فكرّر عليه مرارا فقال
له لا تغضب ثمّ قال له استغفر الله قبل صلاة العصر سبعين
مرّة ليكفّر عنك ذنوب سبعين سنة فقال ما لي ذنوب
سبعين سنة فقال لامّك فقال وما لامّي ذنوب سبعين سنة
فقال لابيك فقال وما لابي ذنوب سبعين سنة فقال لاخوتك
فقال نعم وروى ابن مسعود انّ رسول الله صلى الله عليه
وسلّم كان يقسم يوما مالا فقال رجل ما هذه القسمة
لله يعني انّها ليست بانصاف فبكيت ذلك لرسول الله فغضب
واحمرّ وجهه ولم يقل شيئا سوى ان قال رحم الله اخي موسى
قد اوذي مثل ذلك فصبر وهذه جملة حكايات تضع
في نصيحة الولاة اذا كان اصل ايمانهم ثابتا اثر فيهم هذا
القدر فان لم يوثر فيهم ما ذكرناه فقد اخلوا قلوبهم من الايمان
ولم يبق لهم من ايمانهم سوى الحديث باللسان كعامل
يتناول من اموال النّاس في كل سنة كذا وكذا الف دينار
او درهم لاجل غيره وتبقى في ذمّته ورقبته تطلب منه يوم

القيمة ويأخذ منفوعها سواه ويحصل هو بالعقوبة والعقاب
يوم المرجع والمآب كيف يوثر عنده هذه الاسباب وهذه
نهاية الغفلة وقلة الدين وضعف اليقين **الاصل الخامس**
من الملك انك في كل واقعة تصل اليك وتعرض عليك فقدر
بانك واحد من الرعية وان الوالي سواك وكل ما لا ترضاه لنفسك
لا ترضاه من المسلمين وان رضيت لهم ما لا ترضاه لنفسك فقد
خنت رعيتك وعيشت اهل ولايتك ويروى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان قاعدا يوم بدر في ظل فهبط عليه
جبرئيل عليه السلام وقال يا محمد تقعد في الظل واصحابك في
الشمس وعقوبت بهذا القدر وقال عليه السلام من احب
النجاة من النار والدخول في الجنة يكون اذا جاءه الموت وجد
كلمة الاخلاص بلسانه وكل ما لا ترضى به لنفسك لا ترضى به
لاحد المسلمين وقال عليه السلام من اصبح وفي قلبه هم
سوى الله تعالى فليس من الله في شيء **الاصل الرابع** من ذلك
ان لا تحقر ارباب الحوائج ووقوفهم ببابك واحذر من الاحتقار

ومهما كان لاحد من المسلمين اليك حاجة فلا تشتغل
بنوافل العبادات عن قضائها لان حوائج المسلمين افضل من نوافل
العبادات **نكتة** كان عمر بن عبد العزيز يوما يقضي
حوائج المسلمين فجلس الى الظهر فتعب فدخل بيته ليستريح
من تعبه وقال له ولده ما الذي نومك وما الذي يومنك
ان يأتيك الموت في هذه الساعة والناس على بابك ينتظرون
قضاء حوائجهم وانت مقصر في قضاء حوائج المسلمين فقال
صدقت ثم خرج وعاد الى مجلسه **الاصل السابع** من ذلك
ان لا تعود نفسك الاشتغال بالشهوات من لبس الثياب الفاخرة
واكل الاطعمة الطيبة لكن تستعمل القناعة في كل الاشياء
فلا عدل بالقناعة **نكتة** سال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
رجلا من الصحابة فقال هل رايت شيئا تكرهه من حوالي فقال
سمعتك وضعت على يديك رغيفين من لب البر وانك
قميصين احدهما لليل واخرهما للنهار فقال هل غير هذين شيء
قال لا قال هذا والله لا يكونان ابدا **الاصل الثامن** من ذلك

انّك مهما امكنك ان تعمل الامور بالرّفق فلا تعملها بالعنف
والقوّة لانّ النّبي صلى الله عليهُ وسلّم قال كلّ والٍ لا يرفق برعيّته
لا يرفق الله بهُ يوم القيمة وقال عليه السّلام من ولّي من امور
امتي شيا فرفق بهم فارفق به ومن شق عليهم فاشقق عليه وقال
عليهُ السّلام الولاية والامارة حسينتان لمن قام بحقهما وسيّئتان
لمن قصر فيهما نكتة كان هشّام بن عبد الملك من خلفاء
بني اميّه قد سال اباحازم وكان من علماء زمانهُ وزاهدهُ
ما التدبير في النجاة من الخلافة قال تاخذ الدّرهم الّذي تاخذهُ
من وجههُ الحلال وتضع في موضع حقّ قال من يقدر على ذلك قال
من يرغب في نعيم الجنان ويرهب من عذاب النّيران الاصل
التاسع من ذلك ان تجتهد ان ترضي عنك جميع رعيّتك فانّ
الشّرع قال النّبي صلى الله عليه وسلّم خيار ولاتكم الّذين تحبّونهم
ويحبّونكم وتثنون عليهم ويثنون عليكم وشرار ولاتكم
من تبغّونهم ويبغّونكم وتلعنونهم ويلعنونكم وينبغي للوالي
ان لا يغتر بكلّ من وصل اليهُ واثنى عليهُ وان لا يعتقد ان جميع

الرعيّة مثله راضون عنه وانّ الّذي يثنى عليهُ من خوفهُ منهُ
يثنى عليهُ بل ينبغي ان يترتّب معتمدين يسالون عن احوالهُ من
الرعيّة ويتجسّسون ليعلم عيبه من النّاس فيجتنبهُ الاصل العاشر
من ذلك ان لا يطلب رضى احد من النّاس بسخط الله ومخالفة الشرع
فانّه اذا اسخط من تعدّى الشّرع لا يضرّ ذلك كان عمر بن الخطّاب
رضي الله عنه يقول اصبحت وبضعف الخلق على بي اخطين فقيل
له لم ذلك قال لانّ من يوخذ منه الحقّ يسخط ولا يمكن انّ الامام
يرضي الخصمين واكثر الخلق جهله فمن ترك رضى الخلق لاجل
رضى الخالق كتب معوية الى عايشه ان عظيني عظة مختصرة فقالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول من طلب رضى الله
بسخط الخلق رضي الله عنه وارضى الخلق ومن طلب رضى الخلق
بسخط الخالق سخط الله عليهُ واسخط الخلق عليهُ مثل ان الامام
بالطّاعة ولا يعلمهم امور دينهم ويطعمهم الحرام ويمنع الاجير
اجرته والمراة مهرها بيان العينين اللّتين هما مشرب شجرة الايمان
فاذا فرغت اصول شجرة الايمان وعلت فروعها فاعلم انّ هناك

عينين للعلم يستمد الشجرة منها الماء المعين الاولى معرفة الدنيا
وما هيئتها ولم وجد فيها الانسان اعلم ايها السلطان
ان الدنيا منزلة وليست بدار قرار والانسان فيها على صورة
مسافر فاول منازله بطن امه واخر منازله قبر وانما وطنه
وقراره ومسكنه بعدها وكل سنة يمضي من الانسان
كالمرحلة وكل شهر يتفصى عنه كاستراحة المسافر في
سفره كل اسبوع كرابية يرقاها في طريقه وكل يوم كفرسخ
يقطعه وكل نفس كخطوة ويقدر كل نفس بتنفسه يقرب
من الآخرة وهذه الدنيا كفندقة فمن عبر الفندقة واشتغل
بعمارتها بنى بها زيادة ونسي المنزلة التي اليها مصيره وهي
مكانه وكان جاهلا غير عاقل وانما العاقل الذي لا
يشتغل في دنياه الا الاستعداد زاده لمعاده ويكتفي منها
بقدر حاجته ومهما جمعه فوق كفايته كان سما نافعا
ويتمنى بعد موته ان تكون جميع امواله وذخايره تراثا
ورمادا لا فضة وذهبا ولو جمع مهما جمع فلن يصيبه الا

ما ياكله ويلبسه لا سواه وجميع ما يخلفه يكون عليه
حسرة وندامة ويصعب عليه نزعه عند الموت لان حلالها
حساب وحرامها عذاب فان كان قد جمع من الحلال طلب
منه الحساب وان كان قد جمع من الحرام وقع في العذاب
وكان اشد عليه من حسرة طول العذاب في حفرته ومع
هذا جميعه اذا كان ايمانه صحيحا سالما بحضرة الملك
الديان فلا وجه لياسه من الرحمة والغفران فان الله جواد
كريم غفور رحيم اعلم ايها السلطان ان راحة
الدنيا ايام قلائل واكثرها منغص بالتعب مشوب بالنصب
ونشيها يفوت راحة الاخرة التي هي الدايمة الباقية والملك
الذي لا نهاية له ولا فناء فيسهل على العاقل ان يصبر في هذه
الايام القلائل ليسال راحة دايمة بلا انقضاء نكتة
لو كان للانسان معشوقة وقيل له ان صبرت عنها هذه
الليلة سلمتها اليك الف ليلة بلا تعب ولا نصب وان مضت
اليها فلا تعود تراها ابدا فانه وان كان عشقه لها عظيما

صبر عنها ويهون عليه الصبر ليلة واحدة لينال الاخرى بل
الدنيا ليست بشيء في جنب الاخرى ولا نسبة بينهما لان الآخرة
لانهاية لها ولا تدرك بالوهم طولها وقد افردنا في صفة الدنيا
كتابا لكنا نتبع الان ما نورده من حال الدنيا وقد
اوضحنا حالها في عشرة امثلة المثال الاول وبيان سحر الدنيا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر
من هروت وماروت واول سحر الدنيا انها تريك انها ساكنة
عندك مستقرة معك واذا تاملتها خلتها ساكنة وهي هاربة
منك نافرة عنك على الدوام وانما تسلسل على التدريج حبة حبة
ونفسا ونفسا ومثل الدنيا كمثل الظل اذا رايته حسبته
ساكنا وهو يمر بسرعة وكذلك عمر الانسان يمر بالتدريج
على الدوام وينقص كل لحظة وكذلك الدنيا تتركك
وتهرب عنك فانت غافل لا تخبر وذا هل لا تشعر المثال
الثاني من ذلك ومن سحرها انها تظهر لك وتريك انها لك
مساعدة وانها لا تنتقل عنك الى غيرك ثم تعود عدوة لك

على غفلة ومثلها كمثل امراة فاجرة حراعة للرجال حيث
اذا راوها عشقوها دعتهم الى بيتها فاغتالتهم واهلكتهم
قيل ان عيسى عليه السلام راى الدنيا في بعض مكاشفاته
وهي على صورة عجوز هرمة فقال لها كم تزوجت بزوج
فقالت لا يحصون كثرة فقال عيسى ما توا عنك ام طلقوك
فقالت انا قتلتهم وافنيتهم فقال يا عجبا لاهل الدنيا الذين
يشاهدون صنعها بهم وهم فيها راغبون وتغرهم ولا
يعتبرون المثال الثالث من سحرها انها تزين ظاهرها لمحاسنها
وتخفي غوايلها وعيوبها في باطنها لتغر الجاهل بما يرى من
ظاهرها فمثلها كمثل عجوز قبيحة المنظر تخفي وجهها وتلبس
احسن ثيابها وتتزين وتتجمل لتفتن الناس من بعد فاذا كشفوا
عنها غطاها وخمارها والقوا عنها ازارها ندموا على محبتها
لقبح وجهها وصورتها وقد جاء في الخبر ان الدنيا يؤتى بها
يوم القيمة في صورة عجوز قبيحة مشوهة الخلقة زرقاء العين
وحشة الوجه قد كثرت اينابها واسنانها فاذا راوها الخلايق

قالوا نعوذ بالله من هذه القبيحة المشوّهة فيقال لهم هذه
الدّنيا الّتي كنتم تتحاسدون عليها وتشفكون دماء بعضكم
بعضًا وتقطعون ارحامكم وتغترون بزخرفها ثم يؤمر بها
الى النّار فتقول الهي إن احبابي فيطلبون فيلقون معها في النّار

المثل الرّابع ان يحسب الانسان كم كان في الازل قبل ان يوجد
في الدّنيا وكم يكون مدّة عدمه بالموت كم قدر هذه المدّة
الّتي بين الابد والازل وهي مدّة حياته في الدّنيا فيعلم انّ مثال
الدّنيا كطريق المسافر اوّله المهد واخره اللّحد وفيما بينهما
منازل معدودة كل سنة كمنزل وكلّ شهر كفرسخ وكلّ
يوم ميل وكل نفس خطوة وهو يسير دائما فيبقى لواحد
من طريقه فرسخ وللاخر اقل وللاخر اكثر وهو غافل دائم
كانّه مقيم لا يبرح وقاطن لا يترحّ وقد اشتغل باعمال
لا يحتاج اليها بعد عشرة سنين وربّما يحصل بعد عشرة ايام
تحت التّراب **المثل الخامس** من ذلك اعلم انّ مثل الدّنيا وما
فيها من اهلها فيها بشهواتهم ولذاتهم من الامور القبائح
الّتي يشاهدونها كمثل انسان اكل فوق حاجته من
طعام طيّب سمين فساء هضمه فهاضت معدته فوجد فيضحة
من بعير معدته وفسادها وكره تكرّن الى الخلاء وانطلاق
بطنه فندم بعد ذهاب لذّته واكله وشهوته وبقاء
فضيحته من هلاك معدته وكذلك كلّما الف الانسان
لذّات الدّنيا وتبيّن له ذلك كانت عاقبته اصعب ويبتلي
بذلك عند نزعه وخروج روحه لمن كان له نعم كثيرة
ومال كثير من الذّهب والفضّة والجوار والغلمان
وبساتين فعند فراق روحه وخروجها يكون عليه اصعب
من خروج نفس الفقير الذي ليس له شيء تحسّر عليه وانّ ذلك
الالم والعذاب لا يزول بالموت بل يزيد لانّ تلك المحبّة صفة
القلب والقلب بحاله لا يموت **المثل السّادس** من ذلك اعلم
ايّها السّلطان انّ امور الدّنيا اوّل ما تبدو يظنّها الانسان
انّها قريبة محتضرة وانّ شغلها لا يدوم وربّما كان من بعض
اشغالها واحوالها امر يتسلسل منه آخر ويتفوّق بضياع العمر

فانّ عيسى عليهُ السّلام قال طالب الدّنيا كشارب ماء البحر
كلّما ازداد شربا ازداد عطشا ولها فلا يزال يشرب الى
ان يهلك ولا يرويه قال النّبى صلى الله عليهُ وسلّم كما لا يكن
من دخل فى امور الدّنيا ان لا يبتدئ **المثال السّابع** من ذلك انّ
مثل من حصل من الدّنيا كمثل ضيف دعى الى مايده ومن عادة
المضيف ان يزين داره للاضياف فيدعوا اليها قوما بعد قوم
فوجا بعد فوج ويصنع بين يدى اضيافهُ طبقا من ذهب مملو
بالجواهر ومجمرة من فضّة فيها من العود والبخور ليتطيّبوا و
يتبخّروا لينالهم من الطيّب الرايحة ثم يعيدون الطّبق و
المجمرة لحالها لمالكها ليدعوا غيرهم فمن كان عاقلا
عارفا برسم الدعوات وضع من ذلك البخور على النار و
تطيّب وانطلق ولم يطمع بشئ من ذلك الطّبق والمجمرة وتركها
بطيبة من قلبهُ وانصرف راشدا وشكر صاحب البيت ومن
كان طامعا مكابدا المانوهم انّ ذلك الطبق والمجمرة
له وانّهم بتركوها وبهبوها له فلمّا هم بالخروج من الدّار اخذ

من خاض البحر ان لا ينال كذلك

الطّبق والمجمرة فلم يكن من الخروج بهما واستعدادهما منهُ
فضاق صدرهُ وتعب قلبه وطلب الاقالة بعد ظهور دنيه
فالدّنيا كمثل دار الضّيافة ليتزوّد النّاس منها لطريقهم
ولا يطمعوا فلما فى الدّار **الفصل الثّامن** من ذلك انّ مثل
هذه الدّنيا واشتغالهم بها واهتمامهم باحوالها ونسيان
الاخرة واهمالها كمثل قوم ركبوا فى البحر من كبائم
عدلوا الى جزيرة لاجل الطّهارة وقضاء حاجتهم فنزلوا
الجزيرة والملاح ينادى بهم لا يطيلوا المكث لئلاّ يفوت
الوقت ولا يطيلوا المنام ولا يشتغلوا بغير قضاء حاجتهم
والوضوء والصّلوة فانّ المركب على المسير فمضوا وتفرّقوا
فى الجزيرة وانتشروا فى نواحيها فالعقلاء منهم قضوا
حوايجهم ورجعوا الى المركب وقعدوا فى اشرف موضع
من المركب واطهره ومنهم قوم نظروا الى عجايب تلك
الجزيرة وما فيها من الازهار والاشجار والانهار فاشتغلوا
فى التنزّه وسمعوا نغم اطيارها فلمّا عادوا الى المركب

لم يجدوا فيهُ موضعًا ولا راوا فيهُ متّسعا فقعدوا في اضيق
موضع ومنهم قوم لم يقنعوا بالنزل ولم يحيضوا على الفرجة
لكنّهم حملوا من تلك الجزيرة ما اثقلهم فلم يجدوا مكانًا
فقعدوا في اضيق موضع وحملوا على اعناقهم فلم يجدوا
ما يتركون فيهُ ولم يلبثوا الّا قليلا من الايّام حتّى تغيّرت الوان
ما حملوا من تلك الجزيرة من الالوان والفواكه وغير ذلك و
جافت وفاح منها اقبح رايحة فلم يجدوا موضعًا من الرّخام
ليلقوا ثقلها عن اعناقهم فندموا على ما فعلوا ومنهم قوم مكثوا
في عجايب تلك الجزيرة وتفكّروا في الرّجوع فطال مقامهم
فرجعوا وقد مضى المركب فلم يروه وبعد عنهم فقعدوا
وتخلفوا فندموا حيث لم يقبلوا وصيّة الملّاح ولم يسمعوا
فمنهم من هلك بالجوع والعطش ومنهم من اهلكتهُ السّبل
فالقوم المتقدّمون منهم كالمؤمنين المتّقين والقوم المتخلفون
الهالكون منهم الكفّار والمشركون الّذين نسوا اللهُ
تعالى ونسوا الاخرة كما قال عزّ من قايل الّذين استجبوا

لحيوة الدّنيا على الاخرة وقال تعالى انّ الّذين لا يرجون
لقاءنا ورضوا بالحيوة الدّنيا واطمانوا بها والّذين هم عن
اياتنا غافلون واما الجماعة المتوسّطون فهم العصاة
الّذين حفظوا اصل الايمان لكن طمعوا في الدّنيا فمنهم من
تمتّع بغناه ونعمته ومنهم من تمتّع بفقره وحاجته الى ان
ثقلت ازوارهم وكثرت ذنوبهم واوصابهم **المثال التّاسع**
من ذلك ما روى ابو هريرة انّ رسول اللهُ صلّى اللهُ عليهُ
وسلم قال يا ابا هريرة تريد ان اريك الدّنيا فقلت نعم يا رسول الله
فاخذ بيدي وانطلق حتّى وقف بي على من بلةٍ فيها رؤس الادميين
وعظام نخرة وخرقٍ قد تمزّقت وتلوّثت بالنجاسات فقال
يا ابا هريرة هذه رؤس النّاس الّتي تراها كانت مثل رؤسكم
مملوّة من الحرص والاجتهاد على جميع الدّنيا وكانوا يرجون
من الدّنيا ما ترجون من طول الاعمار وكانوا يجدون في
الدّنيا كما تجدون فاليوم قد تغيّرت عظامهم وتلاشت
اجسامهم كما ترى وهذه الخرق كانت ثيابهم الّذي يتزيّنون

بها عند التحمل فاليوم قد القتها الرياح في النحاسات وهذه
عظام دوابهم الذي كانوا يطوفون اقطار الارض على ظهورها
وهذه النحاسات كانت طعمتهم اللذيذة التي كانوا يحتالون
في تحصيلها ينهبها بعضهم من بعض قد القوها عنهم في هذه
الحزبة التي لا يفز بها احد فهذه جملة احوال الدنيا كما تشاهد
وتري فمن اراد يبكي على الدنيا فليبك فانها موضع البكا
قال ابو هريرة فبكى الجملة الحاضرون قيل كان زمن
عيسى عليه السلام ثلثة سابرون في طريق فوجدوا كنزا
ثم قالوا قد جعنا فليمض واحد منا يشتري لنا طعاما فمضى
واحد منهم ليأتيهما بطعام فقال في نفسه الصواب عندي
ان اجعل لهما في الطعام سما ليأكلا منه فيموتا وافوز
انا بالكنز ففعل ذلك ثم ان الرجلان الاخران اتفقا
على انهما اذا جاء الرجل قتلاه واقتسما الكنز فلما وصل اليهما
بالطعام وثبا اليه فقتلاه واكلا من الطعام فماتا وبقي
الكنز على الارض والثلاثة موتى عنده ثم اجاز عيسى عليه

السلام على ذلك المكان فقال الحواريين هذه الدنيا فاحذروها
قلت اهلها وهي باقية ويل لطلاب الدنيا
معرفة النفس الاخيرا علم ياسلطان العالم ان بني ادم طائفتان
طائفة نظروا الى حال الدنيا وتمسكوا بتأميل العمر الطويل
ولم يتفكروا في النفس الاخير نصب اعينهم لينظروا الى ما
ذا يكون مصيرهم وكيف يتخرجون من الدنيا ويفارقونها
وايمانهم سالم وما الذي يترك معهم من الدنيا في قبورهم
وما الذي يتركونه لاعدائهم من بعدهم وينفى عليهم وزره
ونكاله وهذه الفكرة واجبة على كافة الخلق واهل
الدنيا اوجب لانهم كثيرا ما زعجواء قلوب الخلق وانفذوا
اليهم الغلمان بالشبهات والشاقص وفزعوا الخليفة وادخلوا
في قلوبهم الرعب فان من بعض الملائكة غلاما اسمه عزرائيل
يعرف بملك الموت لا مهرب لاحد منه وكل وكلا الملوك
ياخذون خدمتهم من الذهب والفضه وغير ذلك من
متاع الدنيا وهذا لا باخذ غير الروح جعلا وساير اتباع الشيطان

تنفع عنده الشّفاعة وهذا لا يقبل شفاعة وجميع اتباع
السّلاطين يمهلون ويصبرون يوما او ساعة وهذا لا يمهل
نفسا واحدا وعجايب احواله كثيرة **حكاية** روي انّ ذي
القرنين عليه السّلام اجتاز في بلد على قوم ضعفاء لا يملكون
شيئا من اسباب الدّنيا وقد حفروا قبور موتاهم على ابواب دورهم
وهم يتعاهدون ملك القبور ويكنسونها ويزورونها ويصلون
عندها وليس عندهم طعام يقتاتون به سوى حشيش الارض
فبعث ذو القرنين اليهم رجلا يستدعي ملكهم فلم يجد
عندهم ملكا ولا من يحكم عليهم فرجع الرّجل الى
ذي القرنين فاغتمّ فجاء ذو القرنين بنفسه ودخل اليهم ونظر
احوالهم فاجتمعوا عنده فسلم عليه كبيرهم وجلس عنده فقال
له ذو القرنين كيف حالكم وما سبب عدم الذّهب والفضّة
عندكم قال ليس له عندنا طالب ولا من يرغب فيه لانّ هذه الدّنيا
لا يشبع منها احد قط ولا يرغب الّا فيما يفتات به قال فلم
حفرتم قبور موتاكم على ابواب بيوتكم قالوا ليكون نصب

اعيننا الموت حتّى لا ننساه قال فلم بلدكم هذا بلا حاكم ولا
سلطان قالوا ليس فينا قط ولا غليظ قال فلم تاكلون الحشيش
قالوا لانا كرهنا ان نجعل بطوننا قبور الحيوان وانّ لذّة الطّعام
لا تتجاوز الحلق ثمّ مديدة الى قبر واخرج منه فخف راس ادمي وقال
يا ذا القرنين اتعرف من كان صاحب هذا الراس فقال لا
فقال كان صاحب هذا الراس ملكا من ملوك الدّنيا
وكان يظلم رعيّته ويجور على الضّعفاء والمساكين وينهب
زمانه في جميع حطام الدّنيا فقبض الله روحه وجعل النّار
مقرّه وهذا راسه ثمّ مديدة واخرج خفّا آخر فقال اتعرف
هذا فقال لا قال هذا كان ملكا من ملوك الدّنيا عادلا
مشفقا على رعيّته محبّا لاهل ولايته فقبض الله روحه
واسكنه جنّته ورفع درجته ثمّ وضع يده على راس ذي
القرنين وقال تريا اي هذين الراسين يكون هذا الراس
فبكا ذو القرنين وضمّه الى صدره وقبله وقال له ان رغبت
صحبتي شاطرتك مملكتي وسلمت اليك امر وزراي فقال لهيهات

مالي رغبة في ذلك وقال لم قال لان جميع الخلق اعداك بسبب
الملك وجميعهم يحبوني لفقري وقناعتي فالله معك وحلاه
فذهب فيجب عليك ايها السلطان ان تعلم حكاية النفس
الاخير عند الموت وتدبر حالك وتيقن معرفتها وينبغي ان تعلم
ان اهل الغفلة المغترين بالمهلة لا يحبون سماع حديث الموت
وذكره كيلا يبرد حب الدنيا في قلوبهم وتبغض عليهم
شهواتهم ولذة ماكولهم ومشروبهم وقد جاء في الخبر ان من
اكثر ذكر الموت وظلمة اللحد كان قبره روضة من رياض
الجنة ومن نسي الموت وغفل عن ذكره كان قبره حفرة من حفر
النار وكان رسول الله صلى الله وسلم يصف ثواب الشهداء
الذين قتلوا في معركة حرب الكفار فقالت عايشة رضي
الله عنها يا رسول الله هل ينال ثواب الشهداء من لم تمت شهيدا
فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة كان له مثل احد
الشهداء ودرجتهم وقال عليه السلام اكثروا من ذكر هادم
اللذات وهو الموت فانه يمحوا الذنوب ويبرد حب الدنيا في

القلوب وسئل عليه السلام من احزم الناس رايا واعقلهم
فقال اعقلهم من كان اكثرهم ذكرا للموت واحزمهم من
كان احسنهم له استعدادا فمن عرف الدنيا كما ذكرنا وكرر
في نفسه ذكر النفس الاخير عند الموت سهلت عليه امور دنياه
وقوى اصل شجرة الايمان في قلبه واخذ في النمو والزيادة ولقي
الله تعالى وايمانه سليم والله جل ثناؤه وعلت كلمته ينور
بصيرة سلطان العالم لبر الدنيا والاخرة على ما هما عليه
ويجتهد في اخرته ويحسن عبادة الله تعالى فترتبه مائة الف
الف من الخلايق اذا عدل فيهم يكون لكل شفاعة ومن
يشفع فيه هولاء الخلق من المومنين كانوا امنا من العذاب
يوم القيمة وان ظلمهم كان لكل خصماء يوم القيمة
واذا عاد الشفيع خصيما اشكل الامر وعاده امر عظيم
الخطر شديد الغرر **باب في العدل والسياسة** وذكر الملوك
وسيرهم اعلم ان الله تعالى اختار من بني ادم فريقين وفضلهم
على عباده وهم الانبياء عليهم السلام وارسلهم ليامروا

النّاس بتوحيده وعبوديّته ويوضح لهم معرفة السّبيل واختار
الملوك ليحفظوا العباد من ظلمهم بعضًا لبعض ومكّنهم
ازمّة الامر والقبض والبسط وربط بهم مصالح خلقه ففي
معاشهم بحكمته واحلّهم اشرف محلّ بقدرته كما جاء
في الاخبار عن النّبيّ المختار السّلطان ظلّ الله في ارضه وينبغي
ان يعلم انّ من اعطاه الله درجة الملك وجعله في الارض فانّه
يجب على الخلق طاعته ومحبّته ويلزمهم متابعته ولا يجوز لهم
مخالفته ومنازعته والسّلطان العادل من عدل بين العباد وخلّد
من الجور والفساد والسّلطان الظّالم مشؤم لا يبقى ملكه
ولا يدوم لانّ النبي صلّى الله عليه وآله قال الملك يبقى مع
الكفر ولا يبقى مع الظّلم وفي التّواريخ انّ المجوس ملكوا
الدّنيا وامر العباد ثلاثة الاف سنة وكانت المملكة فيهم وانّما
دامت المملكة لهم لعدلهم في الرّعيّة وحفظهم للعالم
وحفظهم الامور بالسّويّة وانّهم ما كانوا يريدون الظّلم
والجور في دينهم وملّتهم وملكهم جائرًا بعدلهم البلاد

وانصفوا العباد وقد جاء في الخبر انّ الله تعالى اوحى الى
نبيّه داود عليه السّلام ان انه قومك عن سبّ الملوك بالحكم فانّهم
عمروا بعدلهم الدّنيا وامنوا عبادي ينبغي ان تعلم انّ عمارة
الدّنيا وخرابها من الملوك واذا كان السّلطان عادلًا انعمر
الدّنيا وامنت الرّعايا كما كانت في عهد اردشير وافريدون و
بهرام وكسرى وانوشروان واذا كان السّلطان جائرًا خربت
الدّنيا كما خربت في عهد الضّحاك وافراسياب ويزدجرد وامثالهم
هؤلاء فانّ اشكل ما ذكرنا على ايجد وقال يجوز للمجوس ان
تولّى امور المسلمين وانّهم عملوا بالعدل ولم يروا الظّلم والجور في
دينهم وخرق العادة في دينهم وملّتهم فانّا قد اوضحنا في
كتابنا هذا احوال الملوك وسيرهم الّتي ذكرنا وقدروا
واعمارهم وسيرتهم واخبارهم كلّ ملك منهم على حدّته
وكيف عامل رعيّته ايام حياته ومدّته ليزول الاشكال
عن تأمّله وتعلم مقدارا وار كلّ واحد منهم وكلّ ملك
ولمّا مات من حكم بعده في الملك ومن كان اول ملوكهم فقد

ذكر اثبات الملوك وسيرهم وتواريخهم

ذكرنا ذلك مرتبا روي ان آدم عليه السلام لما كثر اولاده اختار من جميعهم اثنين شيث وكيومرث واعطاهما اربعين صحيفة ليعملا بها فولي شيث امور الدين وولي لاخر امر المملكة فكان اول ملك من ملوك الارض وكان ملكه ثلاثون سنة الثاني مرشنك فولي بعده اربعين سنة ثم مات فولي طهمورث فكان يحارب الجن فكان مدة ملكه ستين سنة ثم ولي بعده جمشيد هو الذي اظهر السروج والاسلحة وعدة الحرب وكان له الاعمال العظيمة ومدة ملكه سبعمائة سنة ثم ولي بعده نبوداشت وهو الذي يعرف بالضحاك ذو الجبينين وكان صاحب المكر والدواهي والسحر وكان ظالما غشوما متعديا جابرا وكان مدة ملكه الف سنة ثم ولي من بعده افريدون فكان حسن السيرة جيد الاسم واقام العدل وكان ملكه خمسمائة سنة ثم ولي بعده منوچهر صاحب العلم والاعمال الحسنة الكثيرة والامور العظيمة وكان مدة ملكه

مائة وعشرين سنة ومن بعده نوذر ومدة ملكه اثنى عشر سنة ثم ولي من بعده افراسياب اول ملوك ايران وكان الاترك تسمية كلب وكان له الشجاعة وبسير العساكر بالليل ويسوس البلاد بالعساكر والجيوش وكان ملكه في ايران سبعون سنة ورن طهماست وكان له الشجاعة وطيبة الخلق وكان ملكه خمسون سنة ثم ولي من بعده كيقباد وكان له تعبية العساكر وتدبير الجنود والشفقة على الرعية وكان ملكه مائة وعشرون سنة ثم ولي من بعده كيكاوس وكان صاحب الهمة العالية واليد الباسطة والجود والكرم وكان ملكه مائتر وثمانون سنة ثم ولي من بعد كيخسرو وكان له احسن القيام والعقود وتمشية الكبائر من الامور والزهد في الايشاء بعد نيل المراد وكان ملكه ستين سنة ثم ولي بعده كهراسب وكان صاحب التاج والكبر والفخر وكان ملكه سبعون سنه ثم ولي بعده كياسب وكان يعتقد مذهب زرداشت وكان ملكه مائة وثلثون سنة ثم من بعده همن اسفنديار وكان

صاحب الحقد والحرب والجهد وكان ملكه ماية وخمس وعشرون
سنة وولّى بعده ابنته همانى وهي صاحبة راى وتدبير وكان
ملكها سبع عشرة سنة ثم ولّى بعدها دارى وكان صاحب
الفزع والهزيمة والجزع والجبن وكان ملكه احدي واربعين سنه
ثمّ ولّى بعده داري ابن داري وكان له قود العساكر وترتيب الحشم
واقطاع الولايات وكان ملكه سبعون سنة ثمّ ولّى بعده
اسكندر الرّومى وهوذو القرنين وكان له الطوف في العالم
والاسفار البعيدة ومشاهدة العجايب وفتوح البلاد وقهر الملوك
وملك الدّنيا شرقا وغربا والعدل في الرّعيّة والجنود وكان ملكه
ستّ وثلثون سنة ثمّ ولّى بعده اردشير ساسان وكان ملكه
ثمان وستّون سنة ثمّ ولّى بعده سابور ابن اردشير وكان ملكه
ثلاثة وثلثون سنة ثم ولّى بعده اورمزد وكان ملكه ثلاثون
سنة وثلاثة شهر ثمّ ولّى بعده بهرام وكان ملكه
اربعة شهور ثمّ ولّى بعده هرمز بن برسى وكان ملكه سبعون
سنة ثم ولّى اخوه اردشير وكان ملكه مايتة وعشرون سنة

برسى وكان ملكه سبع سنين
ثم ولى بعده

ومن

ومن بعده سابور بن سابور وكان ملكه خمس سنين ثم ولّى
بعده بهرام بن سابور وكان ملكه اثنى عشر سنة ثم ولّى
بعده يزدجرد الاسم وكان صاحب الظّلم والجور والفساد
وكان ملكه ستون سنة ثمّ ولى بعده بهرام جور وكان له
النّظر التّام في مصالح الرعيّة والتّهجم على الامور الصّعبة
والرّمي والصّيد واللّعب والاشتغال بالعشرة والرّبّ وكان
ملكه ثلاثة وستّين سنة ثم ولّى بعده يزدجرد وكان ملكه
ثمانية عشرة سنة ثم ولّى بعده هرمز وكان ملكه تسع سنين
ثم ولّى بعده فيروز بن هرمز وكان ملكه احدوعشرون سنة
ثم ولّى بعده اسبك وكان ملكه خمس سنين وشهران
ثم ولّى بعده كيقباد وكان ملكه اربعون سنة ثمّ
ولّى بعده جاماست الحكيم وكان صاحب علم النّجوم وله
فيها الاحكام الصّحيحة وكان ملكه سنة وستّة اشهر
ثم ولى بعده كسرى انوشروان الملك العالم فخر ملوك ايران صاحب
العدل والانصاف والاحسان والامتنان والحلم والصّبر

وكان ملكه ثمانية واربعون سنة ثمّ ولي بعده هرمز وكان ملكه
اثنى عشر سنة ثم ولي بعده خسرو برويز وما وصل احد من الملوك الى
درجته في الملك وجميع الخزاين والاموال والات الحرب وكنز
الكنوز واستعمال اللذات ما لوا وصفناه يطال الكتاب
وكان ملكه ثمان وثلثون سنة ثمّ ولي بعده سرويه بن خسروا
وكان ملكه سبعة اشهر ثم ولي بعده يزدجرد بن شهريار
آخر ملوك ابران وكان ملكه ستّ وثلاثون سنة ثم انقرضت
الاكاسرة في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستولى اهل
الاسلام وغلبوا العجم وازاحوهم عن بلادهم وملكهم
وقويت دولة الاسلام ببركة ظهور محمّد صلى الله عليه
واله وسلّم في عهد ولاية عمر فاعلم وتيقّن ايها السّلطان
ان هولاء الملوك الذين ذكرناهم كانوا صحاب الدّنيا وملوك
الارض وانّهم بلغوا من الدّنيا مرادهم وصرفوا باللّذات اوقاتهم
ومضوا وبقيت اسماؤهم وانسابهم كما عددنا من افعالهم
واوردناه من خصالهم لتعلم النّاس انّما هم الحديث الذي يبقى
بعدهم وكلّ انسان يذكر بما كان يفعله وينسب الى ما كان
يعمله من الخير والشرّ فيجب على الانسان ان يزرع بذر الاحسان
وان ينفي عن نفسه العيوب والفواحش والذّنوب والخطايا لا
سيّما الملوك لانّه يبقى بعدهم حسن الذّكر وصالح الرّسم ليذكروا بالقبيح بعد دخولهم في الضّريح كما قال الشّاعر

اِهْرُبْ مِنَ الذَّنْبِ وَتُبْ يَا فَتَى ... وَاِنْ يَدَا مِنْكَ فَعُدْ وَانْدَمِ
وَآبْ عَلَى نَفْسِكَ مَا شِئْتَهَا ... وَعَنْ قَبِيحِ الْفِعْلِ كَيْفَ تَسْلَمِ
بَعْدَكَ يَبْقَى الذِّكْرُ لَا غَيْرُ ... فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا تَغْنَمِ

قيل انّ ذكر الرّجال بعدهم من الخير هو حياتهم الثانية فواجب
على العاقل قراءة اخبار هولاء الملوك والنظر في احوال هذه
الدّنيا القليل وفاؤها الكثير بلاؤها حتّى لا يعلقوا قلوبهم
بامانيها لانّها لا تبقى لصالح ولا طالح فينبغي للعاقل ان يجتهد في
كلّ عمل صالح فالحقّ تعالى عادل لا بدّ ان ينصف يوم القيامة
فياخذ للمظلوم من الظّالم فلا يساوي الدّنيا باسرها ان يجعل
النّاس عليه خصومًا كما جاء في بعض الحكايات قيل انّ رجلا

كان يقال له علي بن الياس ليسفهسلار نيسابور فحضر يوما عند
ابي علي الدقاق رحمه الله وكان زاهد زمانه وعالم اوانه فقعد
على ركبتيه بين يديه وقال عظني فقال ابو علي اسالك مسئلة
واريد الجواب عنها بغير نفاق فقال نعم فقال احب اليك المال ام
العدو فقال المال فقال كيف تترك ما تجمعه بعدك وتصحب
العدو الذي لا تزيله معك فبكى ذلك الرجل وقال الموعظة هذه
وجميع الوصايا والحكم تحت هذا الكلام والخالق جل جلاله
ارسل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى صارت ببركته دار
الكفر دار الايمان واظهره في اسعد وقت واوان وعم الدنيا
بشريعته وختم الانبياء بنبوته وكان الملك في ذلك الزمان
كسرى انوشروان وهو الذي فاق جميع ملوك ايران بعدله
ونصفته وبدنه وسياسته وذلك ببركة نبينا محمد صلى الله
عليه وآله وسلم لانه ولد في زمانه ووجد في اوانه وعاش انوشروان
بعد مولده صلى الله عليه واله وسلم سنتين وافتخر النبي صلى الله
عليه واله وسلم بايامه فقال ولدت في زمن الملك العادل

وانما سماه ملكا لعدله لتعلم ان الذكر الحسن والاسم
الجيد لاشياء والملوك الذين ذكرناهم قبله كانت همتهم في عمارة
الدنيا والعدل بين الرعية وحفظهم الحشم بالياء وحسن السيرة
واثار عمارتهم التي عمروها الى يوم القيمة ظاهرة في العالم وكل
بلد تعرف بملكه لانهم عمروا المواضع والضياع والمزارع
واستخرجوا القنوات والمصانع واظهروا ما كان خافيا من مياه
العيون وكان انوشروان يعمر الدنيا بعدله وانصافه مع
تجنبه الاشراف في عفافه حكاية الاولى وهو ما رواه
وهب بن منبه وكان من علماء اليهود قال كان ملكا عظيما
فركب في بعض الايام بجنوده وعساكره وارباب مملكته لنزهة
الخلق ملكه وزينته وعساكره فامر امراء عساكره وحجابه
ونوابه واتباعه بالركوب فركبت العساكر ووقفوا ينتظرون
خروجه فامر بالخرتيا به فاحضر له ثوبا فقال ما ارضى هذا فاحضر
غيره فلم يرضه فاحضر ثوبا اخر فلبس ثم خرج فامر ان يحضر خيله
فاخرجوا له حصانا فلم يرضه فاخرجوا له آخر فلم يرضه

فاخرجوا حصانا لم ير مثله وسرجه وكل آلاته من الذهب
فركبه بجنوده وعساكره حتى خرج الى ظاهر البلد في البرية
فركض حصانه واعجبته نفسه فجعل يفتخر بشبهه فجاء ابليس
ونفخ في منخره هواء الكبر فقال في نفسه من في العالم مثلي
فجعل يركض في الكبر ويزهو بالخيلا ولا ينظر الى احد من شبهه
وعجبه وكبره وفخره فجاءه رجل فقير عليه ثياب رثه ومخلاته
معلقه في حلقه فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فقبض عنان فرسه
فوقف ولم تطق ان تحركه فقال له الملك ارفع يدك فانك مجنون
لا تدري عنان فرس من قبضت فقال الفقير لي اليك حاجة فقال
ما هو وقت الحاجة الى ان تنزل واطلب حاجتك فقال احاجتي اليك
هذه الساعة لا وقت نزولك فقال قل حاجتك فقال انها سر
لا اقول لها الا في اذنك فاصغى سمعه اليه فقال انا ملك
الموت اريد اقبض روحك فقال امهلني حتى ارجع الى بيتي واودع
اهلي واولادي فقال هيهات لا تعود تراهم ابدا فقد ذهبت مدة
عمرك ثم اخذ روحه وهو على فرسه فوقع ميتا ثم مضى ملك الموت

من هناك الى رجل صالح فسلم عليه فرد عليه السلام فقال اني
اتيتك لحاجة فقال سل حاجتك فقال انا ملك الموت قال مرحبا بك
اني كنت مشتاقا اليك والى لقاء ربي ولقد طالت علي
غيبتك وكنت مترقبا قدومك فقال له ملك الموت ان كان
لك شغل فاقضه فقال امهلني حتى اتطهر واصلي فقال كيف تحب
اقبض روحك فقال اذا صليت وسجدت فاقبض روحي وانا ساجد
ففعل ملك الموت ما طلب واخذ روحه وهو ساجد يصلي بين يدي
تعالى

الحكاية الثانية

قيل كان ملك من الملوك قد جمع
مالا عظيما كثيرا من كل نوع خلقه الله من متاع الدنيا ثم
بنا قصرا عظيما عاليا هائل البناء مرتفعا ساميا وركب عليه
بابين محكمين واقام عليه الغلمان والحرس والاجناد والبوابين
ثم امر ان يصنع له وليمة عظيمة ثم جمع اهله وحشمه واصحابه
ثم جلس على سرير ملكه واتكا على وسادته فقال في نفسه
قد جمعت نعم الدنيا باسرها والان اخلي بالي واكل من هذه
النعم مهنأ بالعمر الطويل والحظ الجزيل فلم يفرغ مما حدث به نفسه

حتّى اتاه رجل من فوق القصر عليهِ ثياب رثّه على هيئة فقير سائل
يسأل شيأ ياكل فوقف على الباب وطرقهُ طرقةً عظيمة هايلة تزلزل
القصر ومن فيه وتزعزع السّرير من تحت الملك فجاءت الغلمان
وانظلقوا ووثبوا من اماكنهم الى الباب وصاحوا على ذلك
الفقير وقالوا له ما هذا الحرص العظيم على شيء تاكل تزعج
الملك والنّاس اجمعين اصبر ساعة الى ان تاكل النّاس وتطعمك
من فاضل الطعام وانت رجل فقير قليل الادب فقال قولوا
لسيّدكم يخرج اليّ فليّ اليهِ حاجة وشغل مهمّ وامر ملمّ فقالوا
لهُ ارجع يا ضعيف العقل يا مجنون ومن انت حتّى تامر سيّدنا
بالخروج اليك فقال لهم انتم عرفوني فعرفوه فقال لهم هلا ضربتموه
ثم لبث ساعة وقام فضرب الباب ضربة اخرى فتزعزع سرير الملك
والقصر من فيهِ فقام الغلمان اليهِ بالعصى والسّيوف فصاح
بهم صيحة عظيمًا وقال اقعدوا والزموا اماكنكم فانا ملك الورّ
فرغبت قلوبهم وطاشت عقولهم وارتعدت فرايصهم وبطلت
عن الحركة فقال الملك قولوا له ياخذ منّي شيأ من المال فقالوا لهُ

قال ما اخذ الّا روحهُ وانّي لا اثبت لا فرق بينك وبين اموالك
الّتي جمعتها من حلال فخسّر ذلك الملك وقال لعن الله هذا
المال الّذي غرّني وشغلني عن عبادة ربّي وكنت اظنّ انّه
ينفعني فاليوم قد صار حسرتي وبلائي وخرجت منهُ صفر
اليدين وبقي لاعدائي فانطق الله تعالى ذلك المال حتّى قال
لاي سبب تلعنني لعن نفسك فانّ الله عزّ وجلّ خلقني واياك
وجعلني في يديك لتزوّدلآخرتك وتتصدّق بهِ على عباد الله
وتزكّي على الفقراء والضّعفاء ونعمّر المساجد والرّبط والقناطر
والجسور لاكون عونا لك في اليوم الآخر وانت جمعتني
وخزنتني وبي في المعاصي انفقتني ولم تشكر حقّي بل كفرتني
ثمّ انّ ملك الموت قبض روحهُ قبل ان ياكل ذلك الطعام
فوقع من سرير مينا **الحكاية الثالثة** قال يزيد الرقاشي
كان في زمن بني اسرائيل جبّار من الجبابرة وكان ذلك
الجبّار جالسًا في بعض الايام على سرير ملكهِ فرأى رجلًا قد دخل
بيتًا في باب دارهِ بصورة منكرة هايلة فلشدّة خوفه من هجومه

وهيبة فدومهُ وثبّت ذلك الملك فى وجههُ وقال من انت
ايّها الرّجل ومن اذن لك بالدخول علىّ فقال أمرنى صاحب
الدّار وانا الّذي لا يحجبنى حاجب ولا احتاج فى دخولى على الملوك
الى اذن ولا ارهب من سياستهُ سلطان ولا افزع من جبّار ولا
لاحدٍ من قبضتى فرار فلمّا سمع الملك هذا الكلام خرّ على
وجهه ووقع الرّعب فى قلبه وقال انت ملك الموت قال
نعم قال اقسمت عليك بالله الّا ما امهلتنى يوما واحدًا
لاتوب من ذنبى واطلب العذر من ربّى وارد الاموال الّتى اودعتها
خزائنى الى اربابها ولا اتحمل مشقة عذابها فقال كيف مهلك
وايام عمرك محسوبة واوقاته مبثوثة مكتوبة وقد استوفيت
انفاسك ولم يبق لك نفس واحد قال فمن يكون عندي اذا
صرت جيفة قال لا يكون عندك غير عملك فقال ما لى
والله عمل صالح فقال لا جرم يكون مصيرك الى النّار ومنقلبك
الى غضب الجبّار ثمّ قبض روحه فوقع عن سريره وخرّ ميتا فوقع
الصّياح فى داره وعلم اهل مملكته ولو علموا ما صار اليه

من العذاب لكان بكاؤهم اكثر وعويلهم اوفر

الحكاية الرّابعة يقال انّ ملك الموت عليه السّلام دخل يومًا على
سليمان بن داود عليه السّلام فى بعض الايام ليسلم عليه
فجعل ملك الموت يطيل النّظر الى رجل من ندمائه ثمّ خرج فقال
ذلك الرّجل يا نبىّ الله من كان ذلك الرّجل الذى عندك فقال
ملك الموت فقال يا نبىّ الله خايف منه فانّى رايته يطيل النّظر
الىّ فخلّصنى منه قال وكيف اخلصك منه قال تامر الرّياح ان
تحملنى الى بلاد الهند فلعلّه يظلّ عنّى فامر سليمان الرّيح ان تحمله فى
ساعة الى اقصى بلاد الهند ثمّ عاد ملك الموت الى سليمان عليه
السّلام فقال له سليمان لاىّ سبب كنت تطيل النّظر الى ذلك الرّجل
الّذى كان عندي فقال كنت اتعجب منه لانّى امرت بقبض
روحه فى اقصى بلاد الهند وهو عندك فانفق انّ الرّيح حملته
الى ذلك المكان فقبضت روحه **حكايت** يقال انّ انوشروان
اظهر يوما من ايام ملكه انّه مريض فانفذ ثقاته وامناءه
ليطوفوا فى اقطار مملكته واكناف ولايته ان يطلبوا له

لبنه عتيقه من بعض الخراب القديمة ليتداوى بها وذكر ان الاطبا
وصفوا له ذلك فمضوا وطافوا جميع ولايته وعادوا وقالوا
ما وجدنا في جميع ولايتك مكانا خرابا ليأخذ منه لبنة
عتيقه فقال لهم انما اردت لاختبر ولا بني لاعلم هل بقي في المملكة
موضع خراب لاعمره فالان علمت انه لم يبق مكان خراب الا
وهو عامر فقد تمت امور المملكة وانتظمت الاحوال ووصلت
العمارة الى درجة الكمال فاعلم ان اولئك الملوك القدماء راوا
ان كلما كانت الولاية اعمر كانت الرعية اشكر وامن وكانوا
يعلمون ان الذي قالته العلماء ونطقت به الحكما صحيح لا ريب
فيه وهو قولهم ان الدنيا بالملك والملك بالجند والجند بالمال
والمال بعمارة البلاد وعمارة البلاد بالعدل في العباد فما
كانوا يوافقون على الظلم والجور ولا يرون ذلك جايزا في
دينهم وملتهم لما علموا ان الرعية لا يتشيث بالجحود وان الاماكن
والبلاد يخرب بالظلم اذا استولى عليها الظالمون وتتفرق اهل
الولايات ويهربون الى بلاد غيرها ويقع النقص في المملك

ويقل دخل البلاد وتخرب الخزاين وتخلو من المال ويتكدر
عيش الرعايا لانهم لا يحبون الجود والظلم ويدعون على ظالمهم
ويسرع الى الحاكم دواعي يملكته قال مؤلف الكتاب الظلم
نوعان احدهما ظلم السلطان رعيته وجور القوي على الضعيف
والغني على الفقير والثاني ظلمك لنفسك ومن شوم معصيتك
فلا تظلم حتى ترفع عنك الظلم كما جاء في بعض الحكايات انه
كان في زمن بني اسرايل رجلا صيادا يصيد السمك ويتقوت
من صيده هو وعياله فصاد في بعض الايام سمكة كبيرة ففرح
بها وقال امضي بها الى السوق وابيعها واخرج ثمنها على عيالي
فلقيه في بعض الطريق رجل عواني من اتباع الديوان فقال له ابيع
هذه السمكة فقال في نفسه ان قلت لا فانه يوذيني وان قلت نعم
اخذها بنصف ثمنها فقال له ما ابيعها لاكن اكلها انا
وعيالي فغضب لذلك الرجل وضربه بخشبة على صدره واخذ
السمكة غضبا وذهب فدعى عليه الصياد وقال الهي
خلقتني مسكينا ضعيفا وخلقته قويا عنيفا فخذ لي حقي منه

في هذه الساعة فاني لا صبر الى الاخر ثم ان العوايني اخذ السمكة
الى منزله وامر زوجته ان تشويها فشوتها وقدمتها بين يديه
ليأكل منها ففتحت السمكة فاها وعضت اصبعه عضة شديدة
فالمته المًا شديدا فعرض نفسه على الطبيب وذكر له ما جرى له فقال
له الطبيب اقطع الاصبع والا سرت الى الكف فقطع اصبعه
فسرى الالم الى الكف فمضى الى الطبيب فقال له اقطع الكف
والا سرى الالم الى الساعد فخرج هاربا الى البرية على وجهه
تايها الى ربه فتعب فراى شجرة فنام في ظلها فراى في منامه
قايلا يقول يا مسكين الى كم تقطع يدك امض الى الصياد و
استحله فانبنه مذعورا وذهب يدور على الصياد حتى وجده
فوقع عليه واستحله واعطاه شيا من الدنيا فرضي عنه وتاب
من جميع الظلم فردت يده كما كان بقدرة الله تعالى عز وجل
فبينما موسى يناجي ربه اذ كلمه الله تعالى وقال وعزتي وجلالي
وارتفاعي في مكاني لولا ان الرجل ارضى الصياد لقطعته
قطعا قطعا مدة حياته حكايت كان لجعفر بن موسي

الهادي جارية عوادة تعرف ببدر الكبرى ولم يكن في زمانها
احسن منها ولا اصنع منها في فن الغناء وضرب الاوتار وكانت
في غاية الكمال ونهاية الجمال فسمع بخبرها محمد بن زبيدة الامين
فطلبها منه باي ثمن اراد فامتنع وقال يقبح على مثلي ان ابيع جاريتي
ولا ينبغي لمثلي ان يفعل ذلك لولا انها مرتبة داري لا نفذتها اليك
بغير ثمن ثم بعد ايام جاء محمد بن زبيدة الى داره فرتب المجلس الشراب
والطرب ثم قال واحضروا الجارية وامرها ان تغني وتطربه فاخذ
محمد في الشراب والطرب ثم مال على جعفر بكثرة الشرب حتى اسكر
فلما غاب جعفر بسكره اخذ الجارية ومضى الى داره ولم يمد
اليها يده من شرف نفسه وعلو همته فلما كان من الغد استدعى
جعفرا الى داره فلما حضر مجلس الشراب امر تلك الجارية ان تغني
من وراء الستر فسمع جعفر غناء جاريته فلم ينطق بكلمة لشرف
نفسه ولم يظهر تغيرا ما في محاضرته ثم امر محمد الامين ان يملا ذلك
الذي عبر فيه جعفر الى عنده دراهم فحملت الحمالون المال فقيل انه
كان الف بدرة كل بدرة عشرة الاف دينار خليفتية حتى

استغاث الملاحون وقالوا ما بقي الزورق يحمل شيأ وحمل المال
والجارية الى بيت جعفر هكذا كانت همم الاكابر الحكاية
قال سعد ابن سالم اشتدت في الحال في زمن هرون الرشيد واجتمع
علي ديون فحجزت عن ادائها واجتمع علي ارباب الديون وتزاحم
المطالبون ولازمني الغرماء فضاقت حيلتي وزادت فكرتي فقصدت
عبد الله بن مالك الخزاعي وحكيت له ما بي واستشرته ما اصنع
والتمست منه ان يرشدني الى باب الفرج فقال لا يزيل ما بك من
المحنة والضيق غير الله والبرامكة فقال له من يقدر على البرامكة
وعلى شهامتهم وكبرهم فقال تصبر على ذلك لصلاح حالك
فنهضت الى الفضل وجعفر ابني يحيى بن خالد البرمكي فقصصت
عليهما قصتي وابديت لهما حالتي فقالا اعانك الله واقام لك
بالكفاية فعدت الى عبد الله بن مالك ضيق الصدر منكسر
القلب واعدت عليه ما قالاه فقال يجب ان يكون اليوم عندنا
لنظر ما يقدر الله تعالى فجلست عنده ساعة واذا بغلام قد
اقبل وقال يا بنا غلمان وبغال وحشم واذا برجل يقول انا وكيل

الفضل وجعفر فقال ارجوا ان يكون قد جاء الفرج فقم وانظر
ما الشان فنهضت واسرعت عدوا فرايت بابي رجلا ومعه
رقعة فيها مكتوبا انك لما عدت من عندنا مضيت الى
الخليفة وعرفته ما قد افضت الحال بك فامر ان احمل اليك من
بيت المال الف الف درهم فقلت هذه الدراهم يصرفها الى
غرمائه في الديون التي عليه فمن ابن يقيم وجوه نفقاته فامر
بثمانمائة الف درهم اخري وقد حملت انا من خاصتي الف الف درهم
فصارت الجملة الفي الف وثمانمائة الف درهم اصلح بها احوالك

حكايت يقال انه كان لانوشروان نديم وكان في مجلس كسرى
مجلس الشراب جام من ذهب مرصع باللؤلؤ والجواهر النفيسة
فسرقه النديم وابصر انوشروان وهو يخفيه فجاء الشرابي
فطلب الجام فلم يجده فنادي يا اهل المجلس قد ضاع للملك جام
من ذهب مرصع بالجوهر فلا يخرج احد من المجلس حتى يرد الجام
فقال انوشروان مكنهم من الخروج فان الذي سرق الجام
لا يرده والذي رآه لا يقر عليه وان كان السخاء وعلو الهمة

كان الخير والراحة ولا ينكر الاحسان ويحد الامتنان الا من
لا اصل له حكاية يقال ان هرون الرشيد استدعى صالحا في
ايام تغيّره على البرامكة وقال يا صالح رح الى منصور بن زياد
وقل له لنا عليك عشرة الاف درهم نريد ان تحصلها في هذه
الساعة وان لم تحصلها من هذه الساعة الى المغرب فخذ راسه
عن جسده واتني به واياك ان تراجعني في شي من امره قال صالح
فمضيت الى منصور وعرفته ما ذكره الرشيد من سياسته فقال
هلكت والله وحلف ان جميع انسابه وملكته لا يقوم بمائة
الف درهم فمن اين اقوم بعشرة الاف الف قال صالح فقلت له دبّر
حيلة في امرك فاني لا اقدر ان امهلك ولا اقدر ان اخالف ما امرت به
المؤمنين فقال لي يا صالح احملني الى بيتي اودع اولادي واهلي واوصي
اقاربي فمضيت معه الى اهله فاخبرهم بذلك فارتفع في منزله
البكاء والضجيج والصراخ فقال صالح فقلت له ربما يكون لك
الفرج على يد البرامكة فامض بنا اليهم فجعل يبكي ويصيح حتى
اتينا الى يحيى بن خالد البرمكي فقصصت عليه القصة وشرحت له

ما قاله الخليفة فاغتم لذلك واطرق الى الارض ساعة وبكى
زمانا ثم رفع راسه واستدعى جارية له وقال لها كم في خزانتنا
من الدراهم فقالت مقدار خمسة الاف درهم فامر باحضار
الجميع ثم انفذ الى ولده الفضل وقال للرسول قل له انه قد عرض
علي بيع ضياع جليلة فانفذ ما عندك من الدراهم فانفذ له
الفي الفي درهم وانفذ رسولا آخر الى جعفر وقال للرسول قد اتفق
لنا شغل ونحتاج فيه الى دراهم فانفذ لنا مائتي الف فانفذ جعفر
الفي الفي درهم فقال منصور يا مولاي قد تمسكت بك وما
اعرف خلاص روحي الا منك واتمام الذي علي فاطرق يحيى الى الارض
وبكى وقال لبعض غلمانه يا غلام ان امير المؤمنين هرون الرشيد
قد كان اعطى جاريتنا العوادة جوهرة عظيمة القيمة فامض اليها
وقل لها تنفذ لنا تلك الجوهرة فمضى الغلام واتى بها فقال يحيى
لصالح يا صالح قد اشتريت هذه لامير المؤمنين من التجار بمائتي
الف درهم ثم ان امير المؤمنين وهبها لجاريتي العوادة واذا راها
عرفها وقد تمّ ما عليه من المال ثم قال قل لامير المؤمنين يهب لنا

منصور فحملت المال والجوهرة الى الخليفة فبينما نحن في الطريق انا
ومنصور اذ سمعته فتمثل بهذا البيت • وما نعنا على تركتنا
ولكن خفنا ضرب النبال • فقلت له والله ما على وجه الارض شر
منك ولا خير من البرامكة فقد اشتروك وانقذوك من
الهلاك ولم تشكرهم ثم نقول عنهم بمثل هذا ثم مضيت الى الرشيد
وقصصت عليه القصة وعرفته ما جرى وكتمت على منصور ما
قاله خوفا على نفسه من القتل ولو عرفه قتله الرشيد ثم ان الرشيد
عجب من ذلك وامر بالجوهرة وقال انا اهل بيت لا نرجع فيما وهبنا
فاعدتها على يحيى وقد قصصت عليه القصة وما جرى من منصور
ومن سوء فعله فاعتذر عنه وقال اذا كان الانسان في نكبة
عظيمة ضيق الصدر مشغول بالفكر فهما قال ليس ذلك من قلبه
وجعل يعتذر لمنصور قال صالح فبكيت وقلت لا يعود الفلك
الدائر يخرج مثلك الى الوجود رجلا فوا اسفا كيف يموت وثواري
في التراب حكايت يقال انه كان بين يحيى بن خالد البرمكي
وعبد الله بن مالك الخزاعي عداوة في السر ما كانا يظهرانها وكان سبب

العداوة بينهما ان هرون الرشيد كان يحب عبد الله بن مالك
الى الغاية بحيث ان يحيى وولاده كانوا يقولون ان عبد الله بن
مالك يسحر امير المؤمنين حتى مضى على ذلك زمان الحقد في
صدورهما وقلوبهما فولاه الرشيد لعبد الله بن مالك ارمينية
ونفذه اليها ثم ان رجلا من اهل العراق كان صاحب ذكاء
ووطنة فاصابه فقر وضيق يد وفني ماله وتغير حاله فزور
كتابا عن يحيى بن خالد ابي عبد الله بن مالك وسافر به الى
ارمينية فلما وصل اليها قصد بابه فلما راه سلم عليه واعرض
عليه الكتاب ففضه وقراه وتاملة فعلم انه مزور فقال
له حملت مشقة السفر من بغداد الى ارمينية وجيتني بكتاب
مزور ولاكني لا اخيب سعيك فقال الرجل اطال الله
بقاء الامير ان كان قد نقل عليك وصولي فلا تخيب بحجة
فارض الله واسعة والرزاق حي والكتاب الذي و
صل يديك صحيح غير مزور فقال عبد الله بن مالك انا اعمل
معك احد امرين وهما ان اكتب اليه وكيلي ببغداد وامره ان

يسأل حال هذا الكتاب الّذي اثبت به فان كان صحيحا
اثبتك اما ان بعض بلادي وان اردت العطاء اعطيتك مائتي
الف درهم مع الفرس والنّجيب والخلعة والتّشريف وان
كان الكتاب مزوّرا امرت ان تضرب مائتي حشبة وان
تخلق محاسنك فقال نعم فامر ان يجعل في جرة وان يحمل اليه ما
تحتاج اليه ثم كتب كتابا الى وكيله في بغداد ان وصل
الى رجل ومعه كتاب يذكر انّه من يحيى بن خالد البرمكي
وانا سيّئ الظنّ به واقول انّه مزوّر فيجب ان تحقق حال هذا
الكتاب لنعلم صحته من سقمه وتعرفني الجواب فلمّا وصل كتاب
عبد الله اليّ وكيله ركب ومضى الى دار يحيى بن خالد فوجده
مع ندمائه وجلسائه فسلّم الكتاب اليه فقرأه يحيى بن خالد
وتأمله ثمّ قال للوكيل عد اليّ في غدٍ لاكتب لك الجواب فمضى
الرّجل ثم قال لندمائه ومن حوله من الخواص ما تقولون
فيمن يزوّر كتابا ويحمله الى عدوي فقال كلّ واحد
منهم شيئا ووصف نوعا من العذاب وحبسا من العقاب

فقال يحيى كلّكم اخطأتم وهذا الّذي ذكرتموه من
حسّة انفسكم واصولكم لانكم كلّكم تعلمون قرب
عبد الله من امير المؤمنين وتعلمون ما بيني وبينه من العداوة
والبغضا والان فقد سبب الله يقال هذا الرّجل وجعله وسيطا
في الصّلح بيني وبينه ووقفه لذلك وقبضه ليمحو احقد عشرين
سنة من قلوبنا ويصلح ما بيننا فيجب على ان اوفي لذلك الرّجل
واصدق ظنونه واكتب له كتابا الى عبد الله بر مالك واوصيه
به ليوافر اكرامه واعزازه واحترامه فلمّا سمع النّدماء كلامه
شكروا له ودعوا لايّامه وعجبوا من كرمه وسموّ همّته
ثم انّه طلب الدّواة والكاغد وكتب الى عبد الله كتابا بخطّه
بسم الله الرّحمن الرّحيم وصل كتابك اطال
الله بقاك وفضضته وتأمّلته وعلمت ما فيه وفرحت بسلامتك
وابتهجت بعلوّ همّتك ثم انّ الكتاب الّذي وصل اليك مع
ذلك الرّجل توهمت انّه مزوّر وليس كذلك وانّه بخطّي يثبته
على يدي وانفذته والمراد من كرمك وحسن شيمتك وطيبة اخلاقك

وعلوّ همّتك ان تستوصي بذلك الرّجل وتعمل معهُ ما انت اهله
من المعروف وتصدّق ظنونه وتعرف حرمه قصده وان تخفيه
منك بغاية الاحسان واوفر الامتنان ومهما فعلت في
حقّهُ من الاحسان فانا المعتدّ بهُ والشاكر عليهُ ثم ختم الكتاب
وسلّمه الى الوكيل ثم انّ الوكيل انفذهُ الى عبد الله بن مالك
فلمّا وصل اليهُ فرح وابتهج ثم احضر الرّجل وقال له اي الامرين
تريد الامرة او العطايا فقال الرّجل العطا احبّ اليّ فامر له مائتي
الف درهم وعشرة افراس عربيّة خمسة منها بالمراكب المحلاة
وخمسة منها بالجلال وعشرين ختنا من الثّياب وعشرة من المماليك
ركاب الخيول وما يليق بذلك من الجواهر النّفيسة المثمّنة ثم
سيره في صحبتهُ امنهُ الى بغداد فلمّا وصل قصد دار يحيى بن خالد
البرمكي وطلب الاذن فدخل الحاجب اليهُ وقال فدائي الى بابنا
رجل ظاهر الحشمة جميل البزة حسن الحال كثير الغلمان والحشم
فاذن له في الدّخول فدخل اليهُ وقبل الارض بين يديهُ فقال له
من انت فاني لا اعرفك فقال انا رجل الذي كنت ميّتا من جور

الدّنيا وغدر الزّمان فاحييتني انا الذي حملت الكتاب المزوّر عنك
الى عبيد الله بن مالك الخزاعي فقال يحيى وما الذي فعل معك واي
شئ اعطاك فقال من كرمك وظلّك واحسانك وهمّتك و
فضلك اعطاني واكرمني وحولني واغناني وقد اتيت بالجميع
الى بابك فقال له صنيعك معي اكثر من صنيعي ولك علي البنية
الوافرة العظيمة واليد الجسيمة حيث بدلت العداوة التي كانت
بيني وبين ذلك الرّجل بالصّداقة وانت كنت السّبب وانا اهب لك
مثل ما وهب لك من المال ثم امر له بمثل ما اعطاه عبد الله بن مالك
وانّما اوردنا هذه الحكاية ليعلم من يقرأ كتابنا هذا انّ
الانسان اذا كانت همّته عالية خاطر واقدم كما خاطر ذلك
الرّجل وسافر الى رجل كريم الاخلاق طاهر الاعراق فوصل اليهُ
بتلك المخاطرة الى مراده فانظر الى هذين الرّجلين الكريمين الحشمين
العفيفين والى سموّ هممهما كيف قابلاه وبماذا عاملاهُ
ولم يرضيا في مروّتهما عقابهُ وعذابهُ ونال بركتهما مراده و
تخلّص من شدّة زمانه وضيقته وافلت من شرك محنته وعاد ذا نعمة

سنيه وربنه عاليه علله **حكايت** يقال انّه تفاخر عبدان
عبد لبني هاشم وعبد لبني اميّه فقال كلّ واحد منهما لصاحبه
موالي ايكرم من مواليك فقالا بمضى كلّ واحد منّا ويجرّب
كرم مواليه فمضى عبد بني اميه الى بعض مواليه وشكا من ضيقه
وتالّم من فاقته فاعطاه عشرة الاف درهم ومضى الى اخر فاعطاه
مثلها حتّى طاف على عشرة موالي فحصل له من الجميع مائة الف درهم
ثم قال لصاحبه امض انت الى مواليك من بني هاشم وانظر كرمهم
فاتى مولى بني هاشم الحسن بن علي عليهما السّلام وشكا اليه حاله
وفقره وحاجته فاعطاه مائة الف درهم ثم مضى الى عبد الله
بن جعفر وشكا حاله فاعطاه مائة الف درهم ثم مضى
الى عبد الله بن فاعطاه مائة الف درهم فاجتمع له من
ثلاثة نفر ثلثمائة الف درهم فمضى بالمال الى عبد بني اميّه وقال
له انّ مواليك تعلموا من موالي الكرم ولكن عذبنا اليهم لنجرهم
بانا قد استغنينا ونعيد المال اليهم فمضى مولى بني اميّه الى مواليه
وقال انّي استغنيت عن الدّراهم الّتي اخذتها وقد سهل الله علي من

مكان اخر فتوحا اسدّ به فقري ولم يتولي من هذا المال حاجة
وقد اعدته عليكم لياخذه المستحق فاخذ كلّ واحد دراهمه
ثم مضى عبد بني هاشم الى مواليه وقال لهم انّي قد استغنيت من مكان
اخر ما زالت به حاجتي وقد جيّت بالمال الّذي اخذته منكم فاستعيدوه
لياخذ المستحق فقالوا انا اهل بيت لا نرجع فيما وهبنا فان كنت
قد استغنيت فتصدّق بالمال **حكايت** قيل كان بمدينة
مرو رجل اسمه نوح ابن مريم وكان رئيس مرو وقاضيها وكان
له نعمة كثيرة وكان له ابنة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال
خطبها جماعة من الاكابر والرّؤساء وارباب النّعم فلم يجب اليّ
ذلك احدا منهم فتحيّر في امره ولم يدر بانّهما يزوجها وقال في
نفسه ان زوّجتها من فلان اسخطت فلانا وكان له غلام هندي
دين يقال اسمه مبارك وكان له بستان فيه من الاشجار والثّمار
والكرم ما شاء الله فقال لغلامه امض الى البستان فاحفظ
عنبه فمضى الغلام الى ذلك البستان واقام فيه يحفظه مدّة شهرين
فجاء سيّده الى البستان ليتفرّج فيه ويا كل من عنبه فقال الغلام

اقطع لي شيأ من العنب لآكل منه فمضى وقطع له وقدم بين يديه
عنبا حامض فقال له جئت لي عنبا غير هذا فجاءه بعنب غيره فوجده حامضا
فقال له سيده لم لا تجئ لي عنبا حلوا اما في هذا البستان شيأ من العنب
الحلو فقال لا اعلم فقال لك في هذا البستان هذه المدة وما تعلم
العنب الحلو من الحامض فقال والله ما ذقته حتى اعلم الحلو من الحامض
فقال له ولم لا اكلت منه قال لانك لم تأمرني بحفظه ولم تأمرني
باكله فلم اكن لاخونك فعجب سيده من دينه وامانته فقال له
سيده ايها الغلام ان لي رغبة اليك فينبغي لا تخالفني فيما امرك
به فقال له الغلام طاعتك واجبة علي فقال له اعلم ان لي بنيات
جميلة وقد خطبها جماعة من الاكابر وارباب الاحوال
ولا اعلم بمن ازوجها فاشر علي بما تراه من المصلحة فقال له الغلام
اعلم ايها السيد ان الكفار في زمن الجاهلية كانوا يرغبون
في الاصل والنسب والحسب واليهود والنصاري يطلبون الحسن
والجمال وفي زمن النبي عليه السلام كانوا يطلبون الدين والتقى
والخير والصلاح واما في زماننا هذا الناس يطلبون المال فاختر

من هذه الاربعة ما تريد فقال له سيده قد اخترت الدين والتقى
واني اريد ان زوجك بابنتي لاني قد وجدت فيك الدين والصلاح
والامانة وجربت منك العفة والصيانة فقال الغلام ايها
السيد انا عبد هندي اسود اشتريتني بمالك كيف تزوجني بابنتك
وكيف ترضى ابنتك فقال له سيده قربنا الى البيت لنسعى في
تدبير هذا الامر فلما صار الى المنزل قال السيد لزوجته اعلمي
ان هذا الغلام الهندي دين تقي وقد رغبت في دينه وصلاحه
واريد ان ازوجه بابنتي فما تقولين فقالت الامر اليك لا الى الام
ولكن امضي اليها واخبرها واعيد عليك الجواب فجاءت اليها
وقالت لها ما قال ابوها فقالت مهما امرتني به فعلته ولا اخرج
من تحت حكمك ولا اعاندك بالمخالفة بل ابرك فزوج
السيد ابنته بالعبد واعطاه مالا عظيما فحصل بينهما ولد وهو
عبد الله بن المبارك وهو الشيخ العالم شيخ الحديث في زمانه وهو
مشهور بين العلما ويحدث عنه ويروى فاعلم ايها الاخ
انك اذا اردت ان تتزوج فاطلب ذات الدين ولا تطلب المال فان

المال يعود وبالا واذا اردت ان تطلب زوجه فلا تطلبها وتخطبها
لاجل بلوغ الشهوة ولكن ترغب فيها بينه انها دنية صالحة لتكون
في خدمتك وطاعتك وتكون لك ستارا من النار حكايت
نزل بعبد الله بن المبارك وهو المذكور في الحكاية عشرة اضياف
من العلماء ولم يكن عنده ما يضيفهم سوي فرس له يحج عليها سنة
ويغزو اسنة فذبحها وطبخها وقدمها للضيفان فقال له زوجته
سبحان الله ما كنت تملك سوى هذه الفرس فذبحتها فعلى اي
شي تحج وعلى اي شي تغزو فدخل البيت فاخرج من متاع بيته
بقدر مهرها وطلقها من ساعته وقال امراة تبغض الضيفان لا تصلح
لي وبقي بغير زوجة مدة طويلة فاتاه رجل فقال له يا امام المسلمين
اني بنيت وقد مات امها وقد اجزعت جزعا عظيما وفي كل يوم
تمزق ثيابها واكسيها دستا بعد دست من ثياب وهي تمزقه واليوم
تريد ان تحضر مجلسك لتسمع قول الله تعالي وقول رسوله فاريد
من انعامك ان تسمعها تسلية لعل الله تعالى يزيل ما بها من
الحزن فلما جلس على المنبر ذكر من باب التسلية ما تسلت به الصبية

فرجعت الى ابيها الى البيت وقالت لابيها اني قد تبت الى الله تعالى
ولا اعود اسخط ربي ولكن لي اليك حاجة قال قولي حاجتك
قالت انك تقول ان ارباب الاحوال والاموال والاكابر يطلبونك
للزواج فاريد ان تزوجني بعبد الله بن المبارك فان كان ماله
مال فان له دين فقال نعم فزوجها ابوها بعبد الله بن المبارك
وحمل معها جهازا كبيرا ومالا عظيما وانفذ من جملة جهازها
عشرة من الخيول الجيدة ليجاهد عليها في سبيل الله ويحج فراى عبد الله
بن المبارك في منامه قائلا يقول له ان كنت قد طلقت من اجلنا
عجوزا فقد اعطيناك بكرا وان كنت ذبحت فرسا فقد اعطيناك عشرا
لتعلم ان الحسنة عندنا بعشر ولا نضيع اجر المحسنين وما
عاملنا احد فخسر حكايت قيل دخل حكيم على معلم يعلم
البنات الخط فقال له يا معلم تعلم الشر بالشر وقيل ان امراتا كانت
في مشورة فجاز عليهما حكيم فقال انظروا الى حية
نفرض السم من حية وسئلت امراة عاقلة ما آداب النساء فقالت
عيوب الرجال البخل والجبن هذه اداب النساء قيل تزوج بعض العلماء

امراة قصيرة فقيل له لم لا تزوجت امراة طويلة تام الخلقة فقال
المراة شرّ وكلّما قصر الشركان اجود قال بعض الحكما الزوّجات
على اربعة انواع امراة كلّها للرّجال وامراة نصفها للرّجل
وامراة هي عدوة الرّجل فامّا المراة الّتي كلّها للرّجل فهي البكر
وامّا الّتي نصفها للرّجل فهي راجع الّتي لا ولد لها وامّا المراة
الّتي ثلثها للرّجل فهي الّتي مات زوجها ولها منه اولاد وامّا
المراة العدوة فهي المطلقة من زوج لها منه اولاد وهو حيّ
وقلبها عنه واعلم خبرا للنّساء البكر قيل انّ حوّي عليها السّلام
لما عصت ربّها في الجنّة عاقبها الله تعالى وعوقبت النّساء لاجلها
بثمانية عشر عقوبة وهي الحيض والولادة وفراق امّها وابيها
وحصولها مع اجنبيّ اذا تزوّجها والنّفاس والتّلطخ بالدّم
ولا تملك امر نفسها ونقصان ميراثها والطّلاق في يد غيرها
وتحليل الرّجل ان يتزوّج باربع وليس لها ان تتزوّج الّا بواحد
واعتكافها في بيتها وتغطية راسها في بيتها وشهادة امراتين
برجل ولا يحلّ لها ان تخرج من بيتها وحدها الّا مع ذي محرم ولا

تصلّي صلاة الجمعة ولا العيد ولا الجنازة ولا الجهاد ولا يكون
فيهن امارة ولا خلافة ولا قضاء ولا علم وانّ الثواب والاجر الف
قسم قسم واحد للنّساء والباقي للرّجال وانّ النّساء الفواجر
يعذبن بنصف عذاب جميع الامة يوم القيمة وانّ المراة تعتد
لموت زوجها اربعة اشهر وعشرا وبالطّلاق ثلاث شهور وثلاث
حيضات فهذه العقوبات الّتي ذكرناها

ذكر سير النّساء

وعاداتهنّ اعلم انّ النّساء على عشر اصناف كلّ واحدة منهنّ
تشبّه بعض الحيوانات واحدة كالخنزير الثانية كالقردة الثالثة
كالكلب الرابعة كالحيّة الخامسة كالبغلة السّادسة كالثعلب
العقرب السّابعة كالفارة الثامنة كالطّير التاسعة كالثعلبة
والعاشرة كالغنمة امّا الّتي هي كالخنزير فهي الّتي لا تعرف
الّا الاكل وحشو البطن وكسر الابنة ولا تبالي بما يتلف من البيت
ولا تهتمّ لصوم ولا صلوة ولا تفتكر بامر من امور الاخرة لا للممات
ولا للقبر ولا للوعد والوعيد والثواب والعقاب بل تكون غافلة
عن جميع ذلك ولا تحفظ اولادها ولا تهتمّ لتربيتهنّ ولا تاديبهنّ

وتكون مغفرة تلبس الثياب القذرة الوسخة وتظهر منها الرائحة
الكريهة واما التي عادتها كعادة القردة فهي التي
ليس لها شغل الا لبس الثياب الملونة كالاحمر والاصفر والاخضر
ولبس الحلي والتحلي بالذهب والفضة وتفتخر على اترابها وتعظم
منزلتها عند زوجها وربما كان على حالها بخلاف ذلك واما التي
عادتها كعادة الكلب فهي التي اذا كلمها زوجها وثبت
في وجهه وصاحت عليه وخاصمته وهرت عليه كالكلب
ومتى رات كيس زوجها ملان من الذهب والفضة وبيته
مملوا بالخير من الغلات والفواكه اكرمته وتقربت اليه
وقالت بعسى لك الفرح لا لقاك الله مكروها وجعلك الله
بعدي واموت ومتى كان زوجها خاليا من جميع ذلك
وثبت في وجهه كالكلب وشتمته ونقصت محبته وسبت
ما كانت عليه من الخير ولم تزل يومها اجمع تشتمه واما
التي عادتها كعادة البغلة اذا وقفت على الجر كلما
ضربت لم تبرح وتكون لجوجة معجبة برايها وبنفسها واما

التي كالعقرب فهي التي تدور بيوت الجيران بالكذب والنميمة والتسمع
لاحاديثهم لاجل الخصومة والفتن وتوقع بينهم العداوة والبغضا
والفتن كالعقرب اين وصلت ضربت بحمتها ولا يبالي ولا تخف
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتان لا يدخل الجنة واما
التي عادتها كعادة الفار فهي المراة السراقة التي تحمل
كيس زوجها وتسرق منه وتسرق كلما في البيت وكلما راث
وحبه في بيوت الجيران واما التي عادتها كعادة الطير فهي التي
تدور طول نهارها ولا تستريح عن دوانها وتقول لزوجها ابن
تمضي انت ما تحبني ولا تريدني وانت تحب غيري ولست معي مستقيما
ولا على مشفقا واما التي عادتها كعادة الثعلب فهي التي تخرج
زوجها من البيت وكلما راته في البيت خاصمته وكلما راث في
البيت شيا سرقته واخذته واكلته ونامت وتعللت وتمرضت
واذا راث زوجها فتحت عليه ابواب الخصومة واشتغلت بالنفار
وتقول له تركتني في البيت وحيدة فريدة مريضة واما التي
كالغنمة فهي الصالحة المباركة وشبهت بالغنمة لان كلها

فايدة ومنفعة وكذلك المراة الصالحة كلها نفع لشفقتها على
زوجها واولادها وخيرانها المطيعة لله ولزوجها **فصل**
اعلم ان ديانة المراة وصلاحها وشرها نعمة من الله تعالى و
النادر ان يتحصل امراة على هذه الصونة كما جاء في بعض الحكايات
قيل كان رجل فاسق براودامراة عفيفه على الزنا فاحتال حتى
حصل عندها فقال لها امضى وغلقى الابواب فعدت المراة ثم
عادت وقالت قد غلقت سايرالابواب التي بيننا وبين الخلق واحكمتها
الا الباب التي بيننا وبين الخالق لم انكر من غلقها قال وما هي
قالت الباب التي بيننا وبين الله تعالى ما يقدر احد على غلقه وهو
بحاله مفتوح فوقع في نفس ذلك الرجل الهيبة فتاب الى الله تعالى
واخلص واقلع عن ذنبه ولزم الطاعة وكان ذلك ببركة المراة
الصالحة **حكايت** في المعنى قيل انه كان رجل علوي
بسمرقند فبينما هو جالس على باب داره اذ جازت عليه امراة
ذات حسن وجمال وكان الدرب خاليا فقبض على زندها المراة
وجذبها الى داخل الدار وراودها على نفسها وهم ان يفسدها

فقالت له المراة اسالك مسالة فاجبني عنها فقال قولي حاجتك
فقالت ان انت زنيت بي وحبلت منك واتيت بولد هل يكون
الولد علويا ام خشا ولد زنا فقال يكون علويا فقالت لا شك انك
من خنوث العلويين ولو لم تكن خشا لم تفعل مثل هذا فخجل الرجل لما
سمع هذا الكلام ورفع يده عنها في الحال وتاب مما جرى
منه ونذر على نفسه انه لا ينظر الى امراة اجنبية بفساد فينبغي ان
يكون الانسان صاحب حمية وغيرة على حرمه وساير فان
الحمية من الدين حتى لا يجوز لرجل اجنبي ان يسمع صوت المراة
الاجنبية واذا دق رجل على المراة فلا يحل للمراة ان تسمعه صوتها
لان قلوب الرجال تتعلق باقل الاشياء وان كان ولا بد فتضع
اصبعها في فمها ثم تجيبه بصوت ثبه صوت العجوز ولا يجوز للنسا
ان ينظرن الى الرجال ولو كان الرجل اعمى وقد جاء في الخبر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على عايشة وعندها
عبد الله بن ام مكتوم قاعد وعندها امراة اخرى فقال يا
عايشه ما هذا القاعد عندك فقال يا رسول الله انه اعمى

فقال انتما عميا ونان فان لم ينظر اليكما فانتما تنظران اليه

حكايت يقال ان الحسن البصري رضي الله عنه قصد زيارة

رابعة العدوية ومعه جماعة من اصحابه فلما وصلوا الى الباب

الدار قال اناذن لنا بالدخول قالت تمهلوا ثم تركت الكسا

بينها وبينهم سترا ثم اذنت لهم بالدخول فدخلوا فسلموا عليها

فاجابتهم من وراء الستر فقالوا علقت بيننا وبينك سترا فقالت

بذلك امرت قال الله تعالى فاسلوهن من واء إحجاب فواجب على

الرجل ان لا ينظر الى امراة اجنبية بحال فانه يجازى بذلك في

الدنيا قبل الاخرة كما جاء في بعض الحكايات انه كان في مدينة

بخارا رجلا سقا يحمل الماء الى رجل صانع مدة ثلاثين سنة وكان

لذلك الرجل الصانع امراة جميلة في غاية الحسن والجمال والبهاء

والكمال معروفة بالديانة موصوفة بالستر والصيانة فجاء السقا

على عادته وقلب الماء في الحب والمراة قائمة في وسط الدار ففتح

السقا على يدها وفرك رندها ولواه ثم حضنها ومضى فلما جاء

زوجها من السوق قالت له زوجته ما الذي فعلت اليوم من

الذنوب واي شئ صنعت في السوق فقال ما صنعت شيا فقالت

لابد ان تعترفي اي شئ عملت اليوم والا ما اتعد في بيتك واخرج

ولا اعود تراني ولا اراك فقال اعلمي اني في يومنا هذا اتت الي

امراة فقال لها سوارا من ذهب فاخرجت المراة زندها ووضعت

السوار فيه وتخيرت من بياض زندها وحسنه وهو كما قال الشاعر

ما خطر في هواجس الافكار • الا وله منطقة من نار •

فاخذت يدها ورندها وعصرتهما ولويتهما فقالت المراة

الله اكبر لما فعلت ذلك فان السقا الذي يعاملنا منذ ثلثين

سنة ويدخل علينا هذه المدة ولم نرفيه خيانة اخذ بيدي اليوم

وزندي وعصرهما ولواه فقال الرجل انا تايب الى الله تعالى مما

يلامني فقالت المراة نرجوا من الله تعالى ان يكون عاقبة امرنا

الى خير فلما كان من الغد جاء السقا والقى نفسه بين يدي

المراة واعتذر اليها وقال لها اجعليني في حل فان الشيطان فعل

ذلك فقالت المراة كن على حالك فان الخطاء لم يكن منك وانما كان

من صاحب الدار اقتضى الله منه في الدنيا وكذلك ينبغي ان يكون

المراة مع زوجها ظاهرها وباطنها واحد وتقنع معه بالقليل
ان لم يقدر على الكثير ويقيد ابعائشة وفاطمة ليكون من
نساء الجنة كما جأ في بعض الاخبار ان فاطمة كانت تطحن بالرحاء
الى ان شكت الى ابيها ما تلقى يدها من الرحا وشكت الى زوجها
علي بن ابي طالب فقال لها علي اذهبي الى ابيك يعطيك جارية
وكان قد بلغهما انه اتاه عبد وجارية فجاءت الى ابيها
تشكوا اليه ما تلقى يديها من الرحا فلم تجده فاخبرت بذلك
عايشة رضي الله عنهما وقالت اني محتاجة الى جارية تغنيني
على اشغالي وتحمل عني اثقالي فلما جاء رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم اخبرته عايشة بما قالت فاطمة فجاء الى علي وفاطمة
وقال لهما اذا اخذتما مضجعكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا
ثلاثا وثلاثين وكبرا اربعا وثلاثين فهي خير لكما من خادم
وقيل لم يكن عندهم في البيت الا كساء كانوا اذا غطوا به
رووسهم بدت ارجلهم واذا غطوا ارجلهم بدت رووسهم
وفي الليلة التي كانت فاطمة عروسا ورفق على علي بن ابي

طالب عليه السلام كان تحتها جلد شاة وكانا ينامان عليه وما
كان في البيت الا كساء ومجذة حشوها من ليف
وكانت الملائكة تقول غضوا ابصاركم فقد اقبلت فاطمة
بنت محمد لاكرامها وطاعتها لزوجها فيجب على المراة ان تراعي
مصالح زوجها وتحدث ما يضر وتزينها في بيته وقلة
الخروج منه وان يكون عفيفة متحملة وان تحفظ وقت طعامه
وان لا تكلفه ما لا يليق وان لا تكون لجوجة وان تحفظ سر
زوجها عند منامها وان لا تذيع ما يجري بينها وبينه وان
تحفظ سر زوجها في غيبته وحضوره قال مؤلف الكتاب
ويجب على الرجال ان يودوا حقوق النساء وان يستروا عوراتهن
وان يحفظوهن من وجه الرحمة والاحسان والمداراة ومن واجب
ان يكون مشفقا على زوجته رحيما لها لا يذكر شيأ من احوالها
ويعلم ان المراة لا تطيق ان تطلق زوجها وهو قادر على طلاقها
متى شاء وانها لا تقدر ان تاخذ منه شيا بغير ارادته وانها ما دامت
في حباله لا يقدر على زوج سواه وهو قادر على ان يتزوج عليها

وانّها لا يجوز لها ان تخرج من البيت بغير اذنه ويجوز له ذلك
وانّها لا يمكنها ان تغزّي من مات له احد وهو يمكنه ذلك
وانّها تخاف منه وهو لا يخاف منها وانّها تقنع بطلاقه وجهه
في وجهها وبالكلام اللين وهو لا يرضى بهذا القدر وانّها
تفارق من امها وابيها وجميع اقاربها وانّها تخدمه دايمًا وهو
لا يجد مها دايما وانّها يتلف نفسها عليه اذا كان مريضا وهو يخلّ
ذلك ولو مات فله بهذا الوجه الّذي ذكرنا يجب على العقلاء
ان يكونوا رحماء للنساء ولا يظلموهنّ ولا يجوّروا عليهنّ لان المراة
سبيّة الرّجل ويجب على الرّجل مداراة النّساء لنقص عقولهن ولسبب
نقصان عقولهنّ لا يجوز لاحدٍ ان يعتمد برايهنّ ولا يلتفت
الى اقوالهنّ ومن اعتمد على رايهنّ ودبّر نفسه بمشورتهنّ تعب
وخسر كما جاء في بعض الحكايات انّ الملك خسرو ابروز
كان يحبّ اهل السّمك فبينما هو جالس وزوجته شيرين
جاء رجل صيّاد وقدم له سمكة كبيرة اهداها له ووضعها بين
يديه فاعجبته فامر له باربعة الاف درهم فقالت له زوجته

شيرين بئس ما فعلت قال ولم قالت لانّك اذا اعطيت احدًا
من جندك مثل هذه العطيّة احتقروها وقال يكون لي اسوة بالصيّاد
فقال الملك وما الذي يجري اذا اخذ الصيّاد شيئًا بعيش به وعياله
والملوك لا يرجعون فيما وهبوا وهذا امر قد فات فقالت
شيرين انا ادبّر لك حيلة قال وكيف ذلك قالت تطلبه للصيّاد
وتقول له هذه السّمكة ذكر ام انثى فان قال انثى فقل له انّا
اردنا ذكرا وان قال ذكرا فقل له انّما اردنا انثى فطلب الصيّاد
وكان صاحب ذكاء وفطنة فقال له خسرو هذه السّمكة
ذكر ام انثى فقبّل الارض بين يديه وقال ادام الله ايّامك انّ
هذه السّمكة خنثى لا ذكر ولا انثى فضحك الملك من كلامه
وامر له باربعة الاف درهم اخرى فمضى الصيّاد الى الخازن
وقبض منه منه ثمانية الاف درهم فوضعها في جراب كان معه
وحمله على كاهله وهمّ بالخروج فوقع منه درهم واحد
فوضع الصيّاد الجراب عن عنقه واحنى واخذ الدّرهم والملك
وشيرين ينظران اليه فقال شيرين لخسرو ما ترى الى هذا وليّ حسّته

نفسه سقط منه درهم واحد فالقى المال عن عنقه واحنى على
ذلك الدّرهم فاخذه ولم يسهّل عليه ان يتركه لياخذه
بعض غلمان الملك فغضب الملك من فعل الصّياد وطلبه وقال
يا خسيس النّفس وضعت المال عن عنقك لاجل درهم واحد
واسفت ان تتركه لياخذ بعض الفقراء والمساكين فقبّل
الصّياد الارض بين يدى الملك وقال اطال الله بقاء الملك انّى لم
ارفع الدّرهم لعظمه عندي ولا لقدره وانّما رفعته عن الارض
لانّ على وجهه اسم الملك وعلى الوجه الاخر صورته فخشيت ان
يداس اسم الملك وصورته فعملت ذلك اعظامًا لاسم الملك وصورته
فاكون انا المأخوذ بهذا الذنب وينسب الى قلة الادب فعجب الملك
من كلامه فامر له باربعة الاف درهم اخرى فاخذ
الصّياد اثنى عشر الف درهم وامر الملك خسروا منادیًا ينادي
في البلد ان لا يعمل احد لشور امراة ومن عمل برايهنّ ومشورتهن
خسر درهمه ثلاثة **فصل** قال صاحب الكتاب عمارة
الدّنيا ودوران الوجود وتناسل بني ادم بالنساء والعمارة

لا تصحّ بغير راي وتدبير وقبل مشاورتهن ومخالفتهنّ واجب
على الرّجل العاقل اذا اراد ان يتزوج ان يحتاط في خطبة النّساء
وطلبهنّ كتزوّج البكر البالغ لئلا يقع في العار وتعب
القلب وعلى الحقيقة فكلما ينال الرّجل من البلاء والمحن من النساء كما
قيل من فتنة النسوان قد يعصف الفتى الرحمن او يخشى من السلطان
اللصّ لولاهنّ لم يك تابعا للرّوح منه بارخص الاثمان
ولهم فرع آدم مع يوسف في محكم التنزيل بالعصيان
وكذاك هرون تجنون عامرها من اجل النّسا
في السّند باد عجايب النسوان
كلّ البلا منهن يأتي والوفي منهن لا ياتي مدي الازمان

حكاية يقال انّه انقطع رجل من قافلة الحاج فضاع في
البادية وجعل يسير فراى خيمة من بعد فقصدها فلمّا وصل اليها
راى فيها امراة عجوزا وعلى باب الخيمة كلب نابر فسلّم على العجوز وسالها
طعامًا من جوع اصابه فقالت اذهب الى ذلك الوادي واصطد
من الحيات قدر كفايتك لاشوي لك منها واطعمك فقال الرّجل

انّى لا اجسر ان اصطاد الحيّات فقالت العجوز انا انصيّد معك فلا
تخف فمضت معهُ ومعها ذلك الكلب فاخذ من الحيّات قدر
كفايتهما فاتت العجوز وشوت له من الحيّات وقدمت اليهِ
وهو فى غاية الجوع فقال فى نفسهُ الجوع يرمها على من الشجر فلم يريدا
وخاف ان يموت من الجوع فاكل منه ثمّ انّه عطش فطلب ماءً
فقالت دونك والعين فاشرب فمضى الى تلك العين فوجد ماها ما
فلم يجد بدّا من الشرب فشرب وجاء الى العجوز فقال لها انّى لا عجب من
مقامك فى هذا الموضع قالت ولم ذلك قال لما كلون الحيات وقلّة
الماء المالح فقالت العجوز فكيف بلادكم قال انى بلادنا الدّور والقصور
الواسعة والفواكه والخبز واللّحم والمياه العذب والاطعمة
الشّهيّة والنعم الكثيرة قالت سمعنا بذلك كلّه فهل انتم
تحت يد حاكم وسلطان يجوّر عليكم اذا كان لكم ذنبا خذ
اموالكم فاخرجكم من بيوتكم قال قد يكون ذلك فقالت
العجوز فاذًا نفقد الاطعمة الهنيّة والنّعم الكثيرة واللّحوم السّمينة
مع الجور والظّلم سمًّا ناقعا ونعود اطعمتنا دريا فانا فعا اما سمعت

انّ اجلّ النّعم بعد نعمة الاسلام الصّحة والامن وانما يكون الامن
بسياسة السّلطان فيجب على السّلطان ان يعمل السّياسة وان يكون
مع السّياسة لانّ السّلطان خليفة الله فى ارضهِ ويجب ان تكون
هيبته فى قلوب الرّعيّة بحيث اذا راته الرعيّة خافوه وهابوه
وسلطان هذا الزّمان يجب ان يكون له اوفى سياسة واتمّ هيبة
لانّ ناس هذا الزّمان ليسوا كالزّمان الاوّل فان زماننا
هذا زمان الفساد والفسق والسّفه واذا كان السلطان بينهم
ضعيفا غير ذي سياسة فلا شكّ انّ ذلك يكون سبب خراب البلاد
ويكون فيه خلل فى الدّين والدّنيا ويقال فى الامثال جور
السّلطان ما به سنة ولا جور الرّعيّة بعضهم على بعض يوم واحد
واذا جارت الرعيّة بعضها على بعض سلّط الله عليها سلطان جابر
وملك قاهرًا **حكايت** اعطى الحجاج بن يوسف الثقفى
قصّة فيها مكتوب اتّق الله ولا تجر على عباد الله وقلّ من الجور
ففرها ثمّ صعد المنبر وكان عالما فصيحا فقال ايّها النّاس
انّ الله سلّطنى عليكم باعمالكم الرّديّة فان انا متّ فلن

تخلصون من الجور مع هذه الاعمال الخبيثة فانّ الله تعالى خلق
امثالي كثيرا فاذا رآك انا كان من هو شرّ منّي ثم انشدّ
وما من يد الّا يد الله فوقها ولا ظالم الّا سيبلى بظالم

حكاية كان هشام بن عبد الملك من خلفاء بني اميّة قد
سال اباحازم وكان من علماء اهل زمانه وزاهدهم ما التدبير
في النجاة من الخلافة قال ناخذ الدّرهم الّذي ناخذه من وجهه
الحلال ونضعه في موضع حقّ قال من يقدر على ذلك قال من
يرغب في نعيم الجنان ويرهب من عذاب النّيران حكاية
قيل انّ في زمن الملك العادل انوشروان اشتري رجل من رجل
ارضًا فوجد فيها كنزا فمضى الى البايع وقال له انّي انّما
اشتريت منك الارض وما اشتريت منك الارض والكنز فقال
البايع انا بعتك الارض وما فيها قال لا اريده ولا حاجة لي
في المال فترافعا الى الملك العادل انوشروان في ذلك القصّة
ففرح بذلك حيث جرى هذا في مملكته وشكر الله تعالى
وقال للبايع الك ولد قال نعم ابن ثم قال للمشتري الك بنت

قال نعم قال زوّج الابن بالبنت واخرجا الكنز عليهما ففعلا ما امرهما
به فلو كان رجلان في زمن سلطان جابر لقال واحد منهما الكنز لي
ولكنّهما لمّا علما انّ ملكهما عادل امنا على ذلك قالت
الحكماء الملك كالسّوق وكل احد يجلب الى السّوق ما هو نافق فيه
وما يعلمون انّه كاسد لا يجلبونه اليه والرّجلان اللّذان وجدا
الكنز ورّافعا الى السّلطان ما ترافعا الّا بعلمهما بعدله وخيره
وزهده وانّه ليس له طمع في مال احد فلذلك ترافعا اليه وامنا
اليه واما في هذا الزّمان فكلّ ما يجري على امرائنا والسنة
ولاتنا فهو جزاؤنا واستحقاقنا ومن سوء افعالنا فكائنا
اعمالنا قبيحة ونحن اصحاب جناية وليس فينا امانة وامراؤنا جابرون
على قدر افعالنا كما يقال في المثل كما تكونوا يولّى عليكم فقد
صحّ بهذا انّ افعال الخلق عايدة الى افعال الملوك الا ترى انّه اذا
وصف بعض البلاد بالعمارة وانّ اهله في امن وراحة ودعة
وعنطة فانّ ذلك دليل على عقل الملك وسداده وحسن نيّته في
رعيّته واهل ولايته لامر الرّعيّة فقد صحّ ما قاله الحكماء وهو

قولهم الناس على دين ملوكهم اشبه منهم بزمانه وقد جاء في الخبر النّاس
على دين ملوكهم وكان من سياسة انوشروان انّه لو كان جملة
ذهبًا في بريّة ونفى مهما نفى في موضعه لم يتمكّن احد ان يمسّه
ولا يغبّر من مكانه الّا صاحبه وكان يوما الى وزير انوشروان
فقال له يومًا لا يكن موافقا لعمل اهل السّوء فيخرب ولايتك
وتفتقر رعيّتك ويصير ملكك خراب وسلطان الفقراء
وتقبح اسمك في الدّنيا وكنت انوشروان الى عمّاله انّه ان بقي
في مملكتنا ارض خراب الّا ان تكون سبخة لا تنبت الزّرع
صلبت عامل تلك النّاحية وخراب الارض من شيئين احدهما
عجز السّلطان والثّاني جوره وكان الملوك في ذلك الزمان
يتفاخرون في العمارة ويتحاسدون **حكاية** ارسل ملك هند سيان
رسولًا الى انوشروان يقول له انا اولى منك بالملك فانفذ الى الخراج
ولايتك فامر انوشروان باكرام الرّسول واعزازه ثمّ جمع في
اليوم الثّاني ارباب مملكته واعيان دولته وولايته ثمّ اذن
للرّسول بالدّخول عليه فلمّا جلس بين يديه قال للرسول اسمع

جواب رسالتك ثمّ امر انوشروان باحضار صندوق ففتحه واخرج
منه قبضة من كبر وسلّمها الى الرّسول وقال له هل في ولايتكم
شيء من هذا فقال النعم عندنا من هذا شيء كثير فقال ارجع وقل للملك
يجب عليك ان تعمّر ولايتك فانّها خراب ثمّ اطلب ولاية غيرها
عامرة فانّك لو طفت جميع ولايتي وطلبت اصل واحد من كبر
لم تجد ولو خبرتك انّك في موضع من ولايتي اصلا واحدا من كبر
لصلبت عامل تلك النّاحية لانّ هذا الكبر لا ينبت الّا في الارض الخراب
يجب على الملك ان يسلك طريق الملوك العادلين الذين تقدموه
ويعمل بسنّتهم في الخير ويكتب كتب مواعظهم ووصاياهم
لانّهم كانوا اطول اعمارا واكثر تجاربا واعتبارا وانّهم
فرقوا بين الجيد والرّدي وعرفوا الجلي من الخفي **حكاية**
يقال انّ كسرى انوشروان ركب يومًا من ايّام الرّبيع على
سبيل التنزّه والفرجة فجعل يسير في الرّياض والازهار والخضر
ويشاهد الاشجار المثمرة وينظر الى الكروم فنزل عن فرسه
وسجد لله تعالى ووضع خدّه على التّراب زمانا طويلا فلمّا

رفع راسهُ فقال لاصحابهُ ان خصب الزمان من عدل السلطان
وحسن رعيّته في رعيّته فالحمد لله تعالى الذي اظهر حسن نيتنا في
سايرالاشياء وانّما قال ذلك لانّه قد جرّب ذلك في بعض الاشيأ
حكايت يقال انّ مروان اخر ملوك بني اميّه اعرض عسكرٌ
فكان ثلثمائة الف فارس وراجل بالعدد الكاملة فقال
وزيرُ انّ هذا الجيش لمن اعظم الجيوش فقال مروان اسكت
فانّه اذا انقضت المدّة لم تنفع العدّة واذا نزل القضاء وكان
العسكر عظيمًا كثيرًا عاد قليلًا حقيرًا ولو ملكنا الدّنيا
باسرها فلابدّ ان ننزع منّا ولم توفّ الدّنيا حتّى تفي لنا
حكايت حكمة كان الخليفة المأمون قد جلس في بعض
الايّام لفصل الدّعاوي والاحكام فرفع رجل قصّة
فسلّم القصّة الى وزيره الفضل بن سهل وقال له اقض حاجة
رافع هذه القصّة في هذه السّاعة فان سرعة الفلك في
دورانهُ اقلّ ان يثبت على حال او يبقى قال مؤلّف هذا
الكتاب يجب على الملوك العقلاء الافاضل الالبّاء ان
ينظروا في هذه الحكايات ليأخذوا منه نصيبا
من ايام دولتهم وينصفوا المظلومين ويقضوا اصحاب
الحوايج وتيقّنوا انّ هذا الفلك لا يثبت على دور واحد لانّه
لا اعتماد على الدّولة وانّ القضاء السّماوي لا يردّ
بالعسكر وكثرة الاموال والذخاير واذا انقضت المدّة
ونفدت الاموال وتفانت الرّجال كما قيل لا ينفع النّدم
اذا زلّت القدم **حكمة** قال ابو الحسن الاهوازي في
كتاب الفوايد والفلا الدّنيا لا تصفو لشارب ولا تبقى
لصاحب فحذر زادا من يومك لغدك فلا يوم يبقى عليك ولا
غد يقال انّه كان على قبر يعقوب بن ليث مكتوب

ملكت خراسانًا وكنا فارس ... وما كنت من ملك العراق بايس
سلام على الدّنيا وطيب نعيمها ... اذا لم يكن يعقوب فيها بجالس

سُئل ملك قد زال ملكه فقيل له لاي سبب انقلبت
الدّولة عنك وسلبت المملكة منك فقال لاغترارى بالقوّة
وتهوّني بالدّولة ورضاى بالعقل ورأى وعقلي عن المشورة

وتولّبني ليصاغر العمّال على كبائر الاعمال وتصنّعي الحيلة
في وقتها وقلّة تفكّري في الحيلة وعملها في وقت
الحاجة اليها والتباطي والوقفة في مكان العجلة والفرصة
والاشتغال عن قضاء الحوائج الناس **وقيل** له اي الاشرار
اكبر شرّا فقال الرّسل الخوونة الّذين يخونون في الرّسالة
لاطماعهم فكلّ خراب المملكة كما قال اردشير في
حقهم كم شفكوا من الدّماء وكم هزموا من الجيوش وكم هتكوا
من استار ذوي الحرمات والاحرار وكم احتاجوا من الاموال
وكم من يمين كذبوها وكم من عهود نقضوها بقلّة
امانتهم وكان ملوك العجم يتخيّرون الرّسل وما يتفذون
رسولا الّا بعد ان يجرّبوه ويمتحنوه **حكمة** قال بعض الحكما اوصيني
قال اشكر قضاء واطلب رضاه وتجنّب جفاه وسئل اي شيء اكبر
من هذا الخلق قال كثرة التدبير ومع الاستكبار لا تزول
الحاجة والعبد يحرص على كلّ شيء الّا على الفقر فليس يحرص عليه
احد لان الكلّ يطلبون الغناء ولا يحرص احد على الغم لان الكلّ

يطلبون السّرور ويحرصون على الفرح ولا يحرص احد على الموت
لانّهم يحرّصون على الحياة قال ابو القسم الحكيم هلاك المؤمن
بشئين المعصية والانفراد بالراي **حكمة** قال بزرجمهر العوا
في اربعة عافية الدّين وعافية المال وعافية الجسم وعافية
الاهل واما عافية الدّين ففي ثلاثة اشياء انك لا تتابع الهوى
وان تعمل بامر النزع وان لا تحسبك احدا وعافية المال ثلاثة اشياء
امعان النظر واداء الامانة واخراج الحقّ من المال وعافية الجسد
في ثلاثة اشياء قلّة الاكل والاقلال من النوم والاقلال
من الكلام وعافية الاهل في ثلاثة اشياء القناعة
وحسن العشرة وحفظ طاعة الله تعالى **وسئل** حاتم الاصمّ
لاي سبب لا تجد ما تجد الاوّلون المتقدّمون فقال لانا عدمنا
خمسة اشيا العالم النّاصح والصّاحب الموافق والحمار الدّايم
والكسب الحلال والزّمان المساعد وجاء في الحديث انّ رسول
الله صلّى الله عليه وسلّم قال يا علي اقبل علي بوجهك واخل قلبك
قلبك وسمعك يا علي كلّ وعظ في دين الاسلام فقال عليّ

ما معنى هذا الكلمات يا رسول الله فقال كل لو عط الشر
عن عيب اخيك وهب للظالم ظلمه وادخر ذلك عند الفقير المظلم
والضيق وشدة الاسلام حكمة قيل بلاء الخلق من ثلاثة العلماء
المضلون والقراء البله والعوام الحسدة وقيل لا تطلب صحة
من طامع ولا تطلب الوفاء من خسيس الاصل قال بعض الحكما
شيار غريبان في هذا الزمان الدين والفقر وقال احفظ
اربعة احوال كنت من جملة الرجال احدهم سرك بحيث يكون اذا
علم به الناس رضيت والثاني علانيتك بحيث لو اقتدي بك
الناس جاز لك والثالث ان تعامل الناس بما لو عاملوك به
احترته لنفسك والرابع ان تكون حالتك للناس بحيث لو كانت
عليك رضيتها حكمة قال الحكيم ينبغي ان تنظر ثلاثة
اشياء بعين ثلاثة تنظر الفقراء بعين التواضع لا بعين التكبر
وان تنظر على الاغنياء بعين النصح لا بعين الحسد وان تنظر والي
النساء بعين الشفقة لا بعين الشهوة قال وهب بن منبه في
التوراة ان ام المعاصي التكبر والحرص والحسد وانما بانى

من خمسة اشياء الاكل وكثرة النوم وراحة الجسم وحب
الدنيا ومدح الناس انفسهم قال من خلص من ثلاثة اشياء
فما واه الجنة وهن المنة والمؤونة والملامة اذا حسن احدكم
فلا يمن باحسانه وان يخفف مؤونته عن الناس واذا راى في
احد عيبا لا بله يقال ان ابن القربة دخل على الحجاج يوما
وكان من اكابر اهل زمانه فطنة وعلما فساله الحجاج
وقال له ما الفكر قال التظر في النعمة والياس من الرحمة فقال
ما الرضا قال القنوع بقضاء الله وقدره والصبر على المكاره
فقال ما الحلم فقال اظهار الرحمة عند القدرة والرضا عند الغضب
قال ما الكرم فقال حفظ الصديق واداء الحقوق فقال
ما القناعة فقال الصبر على الجوع والعري والغزل عن الناس
قال ما الغنى قال استعظام الصغير واستكبار القليل قال ما الرفق
قال امضاء الاشياء الكثيرة بالالة القليلة الحقيرة فقال
ما الحمية قال الوقوف على باب من هو دونك فقال ما الشجاعة
قال الفرار عند الحاجة قال ما العدل قال صدق المقال وارضاء الرجال

قال ما الانصاف قال المساواة على الدعاوي بين الناس فقال
ما الذل قال المرض من خلق اليد والانكسار من قلة الرزق
فقال ما الحرص قال حدة الشهوة عند الرجال قال ما الامانة
قال قضاء الواجب قال ما الحيوة قال الزاخي قال ما الفقر قال
الفكر وادراك الاشياء على حقايقها **الحكمة** قال الحكيم
ثمانية تجلب الذل الى اصحابها وهن جلوس الرجل على مايده لم يديع
اليها ومن يامر على صاحب البيت والطامع في الاحسان من عنده
والمصغي الى الحديث اثنين لم يدخله بينهما ومن يحقر السلطان
ومن جلس فوق مرتبته ومن تكلم عند من لم يسمع ومن
صادق من ليس باهل **حكمة** سئل بزرجمهر اي شيء افتح
بالرجال ذكر وان كان صحيحا قال مدح الرجال للهم لانه
لا يوجد بخيل ممدوحا ولا ذو غضب مسرورا ولا عاقل حريصا
ولا زري كريم خامدا ولا قنوط غنيا ولا بجسد للمال صديقا **الحكمة**
قال الحكيم خمسة يفرحون بخمس ثم يندمون بعدها الانسان
اذا فاتته الامور والمنقطع عن اخوانه اذا اصابه شدة ومن امكنته

فرصة على اعدائه ثم عجز عن امهارها ومن ابتلى بامراة سوء وترك
المراة الصالحة والرجل الصالح لا يقدر على ارتكاب الذنوب
قيل بزرجمهر بم ملك المال قلوب الرجال من العلماء فقال من قلب
المال قلبه فليس بعالم وقال حكيم العقاب الظاهر خير
من الحقد الباطن وقال بزرجمهر اصحاب الغم والحزن في الدنيا
ثلاثة محب فارق حبيبه ووالد ضل عنه ولده وغني صار فقيرا
حكمة قال الحكيم خمسة تكون المال اعز من انفسهم وارواحهم
وهو المقاتل بالاجرة وحفار الابار والعنواث وراكب البحر للتجار
والحواء الذي يصيد الحيات واكل السم بالمراهنة وقال
عمرو بن معدي كرب الكلام اللين يلين القلوب التي
اقسى من الصخر والكلام الخشن يخشن القلوب التي هي انعم
من الحرير قال حكيم الحزن مرض الروح كما ان الطعام غذاء
الجسد وكما ان الوجع مرض الجسم والفرح غذاء الروح وطلب
من حكيم ان يقرضه شيئا فلم يفعل وقال لسبب منعك احمر
وجهي مرة واحدة ولو اعطيتك اصفر وجهي من مطالبتك الف مرة

حكمة قال بعض الحكما من لم يزرع وطسه رطب لم يسا وى زرع
شيأً ومن لبس له لب فهو شجر بلا ثمر ومن سل سيف الجور قتل به ومن
لم يصف من نفسه لم يخلص من حسرته ومن اطلق يده بالعطاء اشرق
وجهه بالضيّاء وقال من لم يحترز من ذنبه فقد تعلّق به وقال
الشّباب رضيع والشّيب قرين وقال تزود ظاهر الزاد ولا تخف
من الاصداد عظة قال لقمان الحكيم كنت سيرياً في
طريق فرايت رجلاً عليهُ فقلت من انت ايّها الرّجل فقال اديّ
فقال ما اسمك قال حتّى انظر ما اسميّ بهُ فقلت ما تصنع قال
ترك الادى قلت ما ذا تاكل قال ما تطعمنى وتعطيبى فقلت
من ابن العطيك قال من حيث يشاء فقلت طوبى لك فقال
وما الذى يبعك من هذه الطوبى حكمة ثلاثة تذهب الغمّ
عن القلب صحبة العالم وقضاء الدّين ومشاهد المحبوب
وقال شيبان بجلبان الحزن الى القلب الطّمع فى جود البخلاء و
مصاحبة الوضعا وقال تجنب اربعة وقد خلصت من اربعة
تجنب الحسد وقد خلصت من الحزن ولا تجالس جليس السّوء

وقد خلصت من الملامة ولا تركب المعاصى وقد خلصت
من النّار ولا يجتمع المال وقد خلصت من العداوة حكمة
قال حكيم اربعة اشياء مذمومة يعلمها النّاس فيجازون
عليها فى الدّنيا والاخرة احدها الغيبة فقد قيل انّ الغيبة
فارس يلحق سريعاً والثّانى احتقار العلماء لانّه من حقر العلماء
كان حقيرا والثالث كفران النعمه من الله تعالى والرّابع قتل
النّفس بغير حقّ ولاكابر الحكما كلام قديم وهو قولهم
القاتل مقتول ولو بعد حين وقال الشاعر

اذا امكنت بالسّكين كفّ لقتل النّاس فاذكر السّبب لا
راى عيسى قتيلاً فى طريق يعضّ على انامله طوب لا
فقال براك من اردت حتفى غدوت كما ترى ملقى قتيلا
وقاتلك الّذى اردا ك ايضاً تذوق القتل فليطل العويل لا

الباب السادس فى شرف العقل

اعلم انّ الله تعالى خلق العقل فى احسن صورة ثم قال له اقبل
ثم قال له ادبر فما دبر فقال وعزّتى وجلالى ما خلقت فى خلقى

اجل منك بك اخذ وبك اعطى وبك احاسب وبك اعاقب وبك
والدّليل على صحّة هذا انّ الله يبلى في عباده بشيئين الامر والنّهي
وكل منهما موقوف على العقل كما في محكم التنزيل فاتّقوا
الله يا اولى الالباب معناه يا اولوا العقول واشتقاق العقل
من العقال والمعقل المنيع القائمة على راس التّلّ لافضل اليها
لامتناعها وقوتها واحكامها حكمة سئل حكيم العرب
لم سمّي العاقل عاقلًا قال للعاقل اربع علامات وهي ان يجاوز
عن ذنب من ظلمه وان يتواضع لمن دونه وان يسابق الى فعل
الخيرات لمن هو اعلى منه وان يذكر ربّه دايمًا وان يتكلّم عن
علم وان يعلم منفعة الكلام في موضعه واذا وقع في
شدّة التجا الى الله تعالى وكذلك الجاهل له علامات
وهي ان يجوّر على الناس ونظامهم وان يتكبّر على الزّعما
المتقدّمين وان يتكلّم بغير علم وان يسكت عن خطاء واذا
وقع في شدّة اهلك نفسه واذا راى اعلام الخير اعرض عنها
قال سعيد بن خير ما راى الانسان لباسًا اشرف من العقل

ان انكسر صحّة واذا وقع اقامة واذا ذل اعزّه واذا سقط في هوة
جذب بضبعيه واستنقذه واذا افتقر اغناه وهو اوّل ما يحتاج
اليه البليغ العلم المهزج بالعقل كما جاء في بعض الحكايات
يقال انّه في خلفاء بني العبّاس اعلم من المامون في جميع العلوم
وكان له في كلّ اسبوع يومان يجلس فيهما للمناظرة
بين الفقها والعلما والمناظرون والاكابر المتكلّمون
ودخل بعض الايّام رجل غريب عليه ثياب بيض رثّة فدخل
في اواخر النّاس وقعد عن وراء الجلاس في مكان مجهول
فلمّا ابتداء في المسائل وكان رسمهم انّ المسئلة اذا اردت على
الفقها فكل من وجد زيادة لطيفة او نكتة غريبة ذكرها
فدارت المسئلة الى ان وصلت الى ذلك الرجل الغريب فاجاب
جوابا حسنًا احسن من جوابه الفقها كلّهم فاستحسن الخليفة
جوابه وامر ان يرفع من ذلك المكان الى علامته فلما
دارت المسئلة الثانية اجاب بجواب احسن واصوب من جوابه
الاوّل فامر المامون ان يرفع اعلامه مرتبة فلمّا دارت

المسئلة الثالثة اجاب بجواب احسن من الجوابين الاولين فامر
المأمون ان يجلس قريبا منه فلما انقضت المناظرة حضر الما
فغسلوا ايديهم ثم حضر الطعام فاكلوا ثم نهض الفقها
فخرجوا فطلب المامون ذلك الرجل الغريب وادناه واوعده
بالاحسان اليه والانعام عليه ثم تهيأ مجلس الشراب وحضرت
الندماء والوجوه الصباح ودارت الراح فلما وصل الدور
الى ذلك الرجل وثب قايما اليه وقال ان اذن لى امير المؤمنين
تكلمت فقال قل ما تشاء فقال قد علم الراي العالى زاد الله
علوا ان العبد كان من مجاهيل الناس ووضعا الجلاس في
المجلس الشريف فانه يفقد قليل العقل ادناه وجعله مرفوعا
على ذي رتبة غبن وبلغ الغاية التي لم يسم اليها همته والآن
يريد ان يفرق بينه وبين القدر اليسير من العقل الذي اعزه
بعد الذلة وكثره بعد القلة فحاشا وكلا ان يمنعه
امير المؤمنين على هذا القدر الذي عنده من العقل والنباهة
والفضل لان العبد اذا شرب الشراب تباعد عنه العقل وقرب

منه الجهل وسلبا ديه فعاد الى تلك الدرجة الخيرة كما كان
ذليلا ووقع من اعين الناس حقيرا مجهولا فان راى الراي
العالى ان لا يسلبه هذا الجوهر بمنه ولطفه وفضله وكرمه
وسيادته وحسن سيرته وحسن سيرته فعل منعما متفضلا
فلما سمع المأمون كلامه اعجبه وادبه وعلمه فاجلسه في مرتبة
واكرمه وامر له بمائة الف درهم وشرفه بثياب فاخرة
واعطاه فرسا بركبها وكان في كل مجلس يرفعه على
جماعة الفقهاء حتى صار ارفعهم درجة فاعلاهم منزلة
وانما اوردنا هذه الحكاية لاجل نعت العقل لان العقل
يوصل صاحبه الى اعلا درجة واشرف مرتبة وان الجهل يحط
صاحبه الى اسفل منزله كما حكي انه جاء رجل الى باب الخليفة
المنصور فقال لبوابه ايها الحاجب اعلم امير المؤمنين ان
بالباب رجل من الشام اسمه عاصم وهو من اهل العلم
وبينه وبين امير المومنين صحبة قبل الخلافة وكنت اشتغل
اذا وهو بالعلم والدرس والاحاديث وصل الان من الشام

للسّلام وتجديد العهد بالايّام فمضى الحاجب فعرفه فاذن له فى
الدّخول فلمّا دخل ثقل على ابى الدوانيق دخوله لغلّة عقله
وادبهُ فقال له لاى حاجة قدمت وجئت من الشام فقال
لرؤية امير المؤمنين لا لنسر بتلك الصّحبة القديمة الّتى بيننا
فامر له الخليفة بالف درهمٍ فاخذها وذهب الى الشام ثم
عاد بعد سنة وقدمات الخليفة المنصور ولد وهو جالس فى
العزا فدخل ذلك الرّجل وسلم عليهُ فقال له الخليفة فيم قدمت
لتعرّفنى فقال انا ذلك الرّجل الّذى انا وانت نتعلّم بالشام وقد
جئتك لاجل ذلك الدّعاء المستجاب الّذي كتبته انا وانت
فضاع منّى وجئت كتبته منك لانّه دعاء شريف كلّ من دعا بهِ فى
حاجة قضيت حاجته فقال له المنصور لا تتعب فى طلب ذلك
الدّعا فانّه غير مستجاب لانّى قد دعوت بهُ منذ ثلاثين سنة
ليخلصنى الله منك ومن صداعك فلم يخلصنى فلو كان مستجابا
كان قد اقالنى الله من صداعك فخجل الرّجل لما سمع ذلك
الكلام وانّما اوردنا هذهُ الحكاية لانّ الانسان اذا

كان عالما ولم يكن عاقلا سقط عن مرتبتهُ **حكاية** قيل
انّه كان رجل من مدينة النّبى عليه السّلام فى زمن المنصور
وكان بينه وبين المنصور صداقة قديمة قبل الخلافة فلمّا صار
خليفة الزّمان قدم عليهُ وافدا وكان الرّجل عاقلا لبيبا ولم
يكن عالما فلمّا راه قربه واكرمه فقال له ذلك الرّجل يا امير
المؤمنين انا محبّ لك داع لايامك مخلص فى الطّاعه وينبغي
ازورك ويمنعنى من ذلك خوفان يظهر منى سوادب سوادب
فى خفك فاثقل عليك فقال له المنصور احسن الزيادة واذا
اردت زيادتى فاجعل بينى وبينك مدّة مقدّرة اذا غبت
فيها وجيت الى لم تثقل على وتزداد محبّتك عندى فاذا دخلت علىّ
فاجلس بعيدا عنّى حتى اقربك الحاجب بالتّدريج ولا تظلّ عندى
فتعودك فتنسب الى سوء الادب ولا تسالنى حاجتك لئلا تثقل
علىّ واذا احسنت اليك فاشكرنى فى ظهر الغيب فى محلّها تحلها
ومنزلة تنزلها بحيث اذا بلغنى شكرك ودعاوك سررت بهُ
وزدت فى عطآئك ولا تذكرنى فى المجلس ما يجرى بينى وبينك

قديما فى زمن المتقدم والماضى فان المجالس بالامانة واقبل ما
اقول لك فقبل الرجل هذه الوصايا وكان ذلك الرجل
يمشى اليه فى السنة مرتين وكان يعطيه فى كل مرة يمضى اليه
الف دينار وانما ذكرت هذه الحكاية ليعلم انه من كان
له عقل ولم يكن عالما فان عقله يرشده الى الخير والصلاح ومن
كان ذا علم بغير عقل عادت اموره منعكسة منقلبة ومن
كان تام العقل كان فى الدنيا حكيما وان شرف الانسان
وعزه ومرتبته وصلاح الاحوال دنياه واخرته بالعقل
وتمامه وتكامل صفاته واقسامه كما قال الشاعر

بالعقل تنال المراوح البدر والعقل به الجاه وسامى القدر
والعقل به يغسل عار الوزر فى العقل النجاح مع بقاء الامر
والعقل اول الايمان ووسط الايمان واخر الايمان وقال
بعض الفقهاء اليس ان الانسان اذا وقع فى امر يحتاج اليه ان
يجتهد فى حسن خلاصه بل العقل ان يجتهد ان لا يوقع نفسه
فى امر يحتاج اليه فى الخلاص منه حكمة قال انوشيروان لولده

احفظ الرعية ليحفظك العقل واصرف جودك عن الرعية
لتصرف افه عنك واعلم انك حكيم من الناس والعقل
حكيم جليل فكما ينبغى ان تقبل امرك فكذلك
ينبغى ان تقبل امر العقل حكمة كتب يونان الوزير كتابا
الى الملك العادل ابوشروان ان توذى رسائل من باب العقل
وما يامر به العقل فشكره ابوشروان وامر الكاتب ان يكتب اليه
كتابا وقال ايها الحكيم لقد احسنت فى نادبة رسالة
العقل الانا ومن تقدمنا من الملوك انما نخلينا بالعقل وكيف
يمكننا مخالفته فان العقل اقرب الناس الى الله تعالى
والعقل كالشمس فى الدنيا وهو قلب الحسنات والعقل
حسن فى كل احد وفى الاكابر والزعماء والملوك
احسن والعقل فى جسد الانسان كالرطوبة فى الشجرة
فانه ما دامت رطوبته كان الناس فى ظلها ونشر رايحتها
وازهارها وطيب ثمارها ونظارتها فى سرور وغبطة ونزهة
وفرحة واذا جفت رطوبتها وقلت نظارتها فلا تصلح

حينئذ الّا للقطع والاحراق والقلع وكذلك الانسان
ما دام عقله قويما وحسنه سليما فصحبته مباركة وملاصلته
حسنة نافعة فاذا زال عقله وغلب جهله فحينئذ لا يصلح للحياة
ولا يستحق الّا الموت قال ابو شروان كيف يستغنى من تخالف
العقل وان لم يفعل ما لا يقضي به العقل فانّه ليس للملك
ولا للرعيّة خير من العقل لانّه بصيانته تفرق بين القبيح والمليح
والحيّد والردى والحق والباطل والصدق والكذب وقال
برزجمهر شيئان لا يمكن وجودهما في شخص واحد كاملين العقل
والشجاعة حكمة سال انوشروان برزجمهر من يجب ان يكون
اعقل النّاس قال العدو اذا عاد ابى قال ولم قال لابى من اثبات
وكلّ شئ اذا كثر كان صاحبه اعزّ حكمة قيل
لبرزجمهر اىّ شئ لا بدّ للانسان منه ولا مندوحة له عنه
فقال العقل فقيل له ما قدر العقل قال شئ لا يوخذ في انسان
كاملا كيف يعلم قدره وقال بعض الحكما جميع الاشياء
مفتقرة الى العقل والعقل الى التجربة ولا غنا اعز من العقل

ولا فقر اشدّ من الجهل وكلّ من كان عمله اوفر كان حاجته
الى ايكثر والمثل في ذلك لراع ضعيف مع قطيع كثير نصير
بالعالم الّذى لا عقل له قالت العلما العقل امير وله جنود وجنود
المميز والحفظ والفكر والفهم وسرور الروح العقل
لانّه به ثبات الجميع والروح سراج نوره العقل ثم ينبسط في
جميع الجسد والعاقل لا يغمّ ابدًا لانّه لا يفعل ما يوجب الاغتمام
ولا يهتم لامر لا يجوز لمثله فعله حكمة سئل ابن عبّاس العقل
خير ام الادب فقال العقل لانّ العقل من الله والادب تكليف
من العبد وسئل عبد الله بن المبارك العقل خير ام الادب فقال
العقل فقيل له وما العقل فقال تعلّم العلم والعمل به وما ينبغى ان
يعمل والعقل لك اذا علمت علمك وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اقسم الله لعباده خير من العقل ونوم العاقل خير
من عبادة الجاهل والعاقل المفطر خير من الصايم الجاهل وضحك
العاقل خير من بكاء الجاهل حكمة قال رجل لاوقليدس
لم لا تشرب ولا تتلذّذ روحك فقال وانا لا استريح وخرج

الحقد من قلبك حكمة قال الحكيم كما يفوح من الميّت
الرايحة الكريهة كذلك يفوح من الجاهل سونه الجهل فيضرّ به
وبجيرانه واقاربه حكمة سل حكيم ما العقل قال سداد سداد
وعقد بين ثلث وعرى شيا فلولا هذه العقد لاختلط الجيد
والردى ولا هو عقد بين التوحيد والشرك وبين الايمان والكفر
وبين الجسد والهزل وبين التيقيظه والغفلة وبين التيقن والشك
وبين العاقبة والبلاء وبين الكرم والبخل وبين حسن
الخلق والفضاحة وبين التواضع والنكر وبين الصداقة
والعداوة وبين المدح والذم وبين الفحه والجبار بين الحق
والباطل وبين الرزانة والحفه وبين الظلمه والضيا وبين
الكرامة والذلة وبين الطاعة والمعصية وبين ذكر
الله تعالى والعقلة وبين النصيحة والحسد وبين السنّة
والبدعة وبين الرحمة والقساوة وبين الحلم والحمق وقال
صاحب الكتاب جميع محاسن الناس في العقل وساير
العلوم والاعمال مرجعها الى العقل كما جاء في بعض الحكايات

قيل ان الريح حملت كرسي سليمان بن داود عليه السلام وجعلت
تشير به في الجو فلاح لسليمان بلد فامر ان تحطه فيه فنزل في
باب ذلك البلد فراى على بابه مكتوبا اجر اجتهاد يوم
واحد درهم والحسن والجمال اجرته في كل يوم مائتي مثقال
وعلم ساعه واحدة لا تحصى قيمته وجمع الاشياء منوطه بالعلم
والراى والتدبير مع العقل يومان ومن اتاه الله العقل
فقد اتاه الله خيرا كثيرا كما قيل

ان كنت من اصل جوهر منسوب او يوسف الحسن من بد يعقوب
ما انت تفعل عقلك المنعوب في الناس سوي محتقر معيوب

وهذا كله لتعلم ايها الاخ قدر نفاسة العقل وعلو
قيمته فيجب عليك ايها العاقل والحمد والشكر لواهب العقل
وهو الباري جلّت قدرته **الناسع في نعت النساء**
وذكر ما فيهن من خير وشر اعلم ان خير النساء ابركهن
الولود الخفيفة المهر قال عليه السلام عليكم بالمرأة الحرة
فانها اطهر وابرك وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه

نعوذ وا بالله من شرار النساء واحذروا جارهن قال صاحب
الكتاب من اراد صلاح دينه وتدبيره ولم يجد المراة الحسنا
ليلهوا بها فعليه الدنية وذات الدين اخبروا بزك فان المراة
التي لا دين لها ليس لها اصل ولا معها بركة وبركة الديانة
يوجد كل شئ من الخير كما جاء في بعض الحكايات روي ابو سعيد
انه كان في زمن بني اسرائيل رجل صالح وله امراة دينة
صالحة ذات راى وحزم فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان
ان قل لذلك العبد الصالح اني قد قدرت عليه ان يمضي نصف
عمره بالغنى ونصفه بالفقر فان اختار ان يكون غناه في صباه
اغناه وان اختار ان يكون في شيخوخته قدرناه لذلك
ويسرناه فلما اخبر الرجل بذلك اخبر زوجته به وقال لها
انه قد جاء وحي من الله تعالى في امرنا وقص عليها ما سمعه
من نبيهم وقال لزوجته ماذا تامرين وماذا تريدين من المصلح
فقالت الاختيار اليك فقال الرجل قد رايت الفقر في الشباب
علي فاني اذا كنت شابا فقيرا احتملت الفقر وصبرت عليه

واذا كنت كبيرا غنيا كان لي ما يعينني على عبادة ربي في
كبري فقالت المراة ايها الرجل اذا كنا في الشباب في
ضنك وفقر لم نقدر على طاعة الله يعال ولا يمل كثرة العبادة
ولا على كثرة الصدقات فالواجب ان نختار في زمن الشباب
لنتمكن من عبادة الله تعالى باحسادنا واموالنا فقال الرجل
نعم ما رايت كذلك نفعل فنزل الوحي على ذلك النبي ان قل لذلك
الرجل حيث اثرت طاعتنا واستفرغت جهدك في عبادتنا فقد
فقدرت وقضيت ان اجعل جميع عمرك في الغنا فكن انت وزوجتك
على عبادتي ومهما رزقتكما فتصدقا به على عبادي لتحصل
لكما الدنيا والاخرة قال صاحب الكتاب وانما اوردنا
هذه الحكاية لتعلم انه من كان له قرينة صالحة كانت
جميع امونه في غاية الصلاح قال ابن عباس دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما على ام سلمة الا تصلين في جماعة ولا
تصلين الجمعة ولا تجمعين وتجاهدين في سبيل الله وتختمين القران
فقالت يا رسول الله هذا كله من اعمال الرجال فقال عليه

السلام والنساء ايضا اعمال يعدل هذه الاعمال فقالت وما
تلك الاعمال يا رسول الله قال اذا ادنت المراة فريضة ربها واطاعت
بعلها وحركت المغزل كانت كانها شبيح مادام المغزل في يدها
او كانها تصلي جماعة واذا طحنت القدر لاطفالها شاطت
ذنوبها وغزل المراة بمغزلها مثل عمان القناطر والربط ومن
صوت مغزلها تفتخر حيطان بيتها وثلث اصوات تبلغ تخت العرش
احدها شتى الغزاة والمجاهدين في سبيل الله والثاني ضرب
اقلام العلما والثالث مغازل المصونات في بيوتهن قال
الاحنف بن قيس اذا اردتم ان تحكموا النساء فعاشروهن
باحسن الاخلاق وجامعوهن ذكر الجماع قال عمر
بن الخطاب رضي الله عنه لا تحدثوا النساء بحديث العشق فيفسد
قلوبهن مثل النساء كالحم ملقا في برية ليس له حافظ غير الله
تعالى وقال مغيرة بن شعبة قضيت رماني مع النساء بثلاثة
اشياء في زمن شبابي الجماع وفي زمن كهولتي بالمزاح والحديث
وحسن الخلق وفي زمن شيخوختي بكثرة المال وسعة النفقة

والاستكثار فغير محمود الا ما قدرت على حقوقهن روي
سلمان الفارسي رحمة الله عليه انه سال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من خير النساء من تطيع زوجها فيما امرته فقيل من
شرهن قال التي تخالف زوجها فيما امرته ولا تطلب رضاه

باب في سياسة الوزراء وشرهم اعلم ان السلطان يعلو ذكره
ويرتفع قدره بالوزير اذا كان صالحا تقيا عادلا لانه لا يمكن
احدا من الملوك ان يضرب زمانه ويدبر سلطانه بغير وزير
ومن انفرد برايه ضل لان النبي صلى الله عليه وسلم مع جلال
قدره وعظم درجته ووفور عقله ورايه امره الله تعالى
بالمشاورة لاصحابه العقلاء العلما فقال عز من قائل وشاورهم
في الامر واخبر في موضع اخر عن موسى عليه السلام واجعل لي
وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه
في امري فاذا لم يستغن الانبياء عليهم السلام عن الوزراء
واحتاجوا اليهم كان غيرهم احوج بطريق الاولى

سئل اردشير بن بابك اي الاصحاب اصلح للملوك فقال

الوزير الصالح العاقل المشفق الامين ليدبّر معه زمانا به
ويشير عليه بالمصلحة وعلى السّلطان ان يعامل الوزير بثلاثة
اشياء احدها اذا ظهرت منه زلة او وجد منه هفوة لا يعاجله
بالعقوبة والثّانى اذا استغنى فى خدمته واتّسع ظلّه فى دولته
لا يطمع فى ماله وثروته والثالث اذا ساله فى حاجة لا يتوقف
فى قضاء حاجته وينبغى ان لا يمنعه من ثلاثة اشياء وهن
متى اراد ان يمنعه عن رويته وان لا يسمع كلام مفسد
ولا يحمى عنه شيئا من سنّ لان الوزير الصّالح حافظ لسرّ
السّلطان ومدبر امر الدخل وعمارة الولايات والخزاين
ودخل المملكة وشدّة الهيبة وله الكلام على الاعمال
واستماع الاجوبة وبه يكون ثبات الملك ومنع اعدائه وهو
احق النّاس بالاستمالة وتعظيم القدر وتفخيم الامر قال
لقمان لابنه اكرم وزيرك اذا راك على العزّ لا يجوز
لا ينبغى ان يوافقك على وينبغى للوزير ان يكون مايلا
فى امورك الى الخير متوفيا من الشرّ واذا كان سلطانه حسن

الاعتقاد مشفقا على العباد كان له عونا على ذلك واذا كان
سلطانه غير عادل او كان غير ذى سياسة كان على الوزير ان
يرشده قليلا قليلا بلطف وجهه ويهديه الى الطّريقة المحمودة
وينبغى ان يعلم السّلطان انّ دوام الملك انّما هو بالوزير ودوام
الدّنيا بالملك وينبغى ان يعلم انّه لا يجوز له ان يهتمّ بغير الخير
ويعلم انّه اوّل انسان يحتاج السّلطان اليه سُئل بهرام
الى كم نفس يحتاج السّلطان حتّى يتمّ امره وسلطنته فقال
الى سبعة انفس الوزير الصّالح ليظهر اليه سرّه ويدبّر معه رايه
والفرس الجواد لينجيه يوم الحاجة والسّيف القاطع والدّرع
الحصين والمال الكثير الّذي يحقّ حمله وثقل ثمنه كالجوهر
والياقوت والزّوجة الحسناء لتونسه وتزيل ما به من الهمّ
والحزن والكرب والطباخ الحاذق الخبير الّذي اذا امسك
طبعه دبّر له شيئا يلطّفه ويليّنه حكمة قال اردشير حقّ
على الملك ان يكون طالبا لاربعة فاذا وجدهم يتحفظ بهم
الوزير الامين والكاتب العالم والحاجب المشفق والنّديم

الصّالح لانّه اذا كان الوزير امينا دلّ على بقاء الملك
وسلامته واذا كان الكاتب عالمًا دلّ على عقل الملك
ودرايته واذا كان الحاجب مشفقا دلّ على رضا الملك
عن رعيّته ولم يغضب الملك على اهل مملكته واذا كان
النّديم ناصحا صالحا دلّ على انتظام مصلحته حكمة قال
مؤيّد في عهد انوشروان انّه لا يمكن حفظ السّلطنة
الّا بالاصحاب الاخيار النّاصحين المساعدين ولا ينفع
خير الاصحاب الّا اذا كان الملك تقيًّا لانّه ينبغي
ان يكون الاصل جيدا ثمّ الفرع ونعني بتقوى السّلطان
وصدقه وصحّته ان يكون صحيحًا في سائر الامور يأمر
بالصّحة باقواله واحواله ليصحّ سائر حشمه واصحابه
ورعيّته وان يكون واثقًا بالله تعالى وان يرى مرقدّرته
وقوّته وظفره باعدائه ونصرته ووصوله الى مرامه ومراده
من الله تعالى وان لا يعجب بنفسه فانّ عجب بنفسه حتى
عليه حكايت قيل ان سليمان بن داود عليه السّلام

كان جالسا على سرير ملكه والجنّ والانس والطّير والوحش
محدقة به وقد حملته الرّيح في الجوّ فنظر سليمان الى مملكته واتقبا
هذا الجمع له لعظم هيبته وسياسته فاعجبته نفسه فاضطرب
السّرير فاراد ان يتقلّب فقال سليمان للسّرير استقم فنطق
السّرير وقال استقم انت حتّى اتستقيم انا كما قال عزّ من قائل
انّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بانفسهم وقال ابو
عبيدة في امثاله من ملك الخدّام العشار ويجب ان يكون
عند السّلطان شيخ عالم ذو تجربة لانّ الشّاب وان كان عاقلا
لا يكون في التجربة كالشيخ والّذي تعنيه النّاس من تجربة
ايّام وحوادث الزّمان لا يعرفه الّا المشايخ والوزير زين السّلطنة
ويجب الوزير ان يكون صالحا نقيًّا من الشّر ويحتاج الوزير
الى خمسة اشياء لحسن سيرته ويحمد النّاس التيقظ لينظر في كلّ
امر يدخل فيه وجه المخرج منه والعلم حتّى تتضح له الاشياء الخفيّة
والشّجاعة حتّى لا يخاف من شيء في غير موضع الخوف والصّدق
لئلّا يعمل مع احد غير الصّحيح وكتمان سرّ السّلطان الى

ان يدركه الموت قال اردشير يجب ان يكون الوزير ساكتا
متمهلا شجاعا واسع الصدر حسن المقال صبيح الوضه سخيا
صامتا حيث يحسن الصمت متكلما اذا حسن الكلام
ومع ذلك كله يجب ان يكون ديّنا تقيّا حسن المذهب ليطهر
نفسه وينفي عنها كل ما لا يليق بها وينبغي ان يكون ذا
تجارب وان تيقظ ان تصيبه غير الزمان وكل ملك كان
وزيره محبا وعليه مشفقا كان ذلك الوزير كثير
الاعداء وكان اعداءه اكثر من اصدقائه ولا يجوز للسلطان
ان يسمع في وزيره كلام المفسدين الذين يسعون فيه لحسدهم
ويجب ان يكون الوزير محمود الطريقة اذا راى بالملك خلة
مذمومة غير مرشدة ردّه الى عادته الحميدة من غير علظة
لان الملك اذا سمع من الوزير ما لا يسمع منه ما يكره بل ينهاه
سرا والدليل على ذلك انّ الله تعالى لمّا ارسل موسى الى فرعون
امره بالمداراة فقال الله تعالى فقولا له قولا لينا فالناس بالطريقة
الاولى ان يلينوا قلوبهم واذا كان السلطان يحسن كلامه

فلا يجوز للوزير ان يحقد عليه ويصبر على كلامه فان
قدر الملك ان يطلق لسانه فينطق بما يريده واذا كان الوزير
محبا للملك صحيح المقال حسن الفعال فلا يجوز ان يعدّد حسناته
على الملك ولا يمنّ بها عليه قال اهل الفطنة اذا احسنت الى
احد وعددت حسناتك عليه كان شرا من المنّة عليه وينبغي
ان يعلم انّ الوزير يوسا برخاصه الملك مهما فعلوا من الاحسان
فانّ من سعادة الملك وبركة ظلّه عليهم حصل ذلك فالمنّة
لله تعالى حيث صلح ان تكون له على الخلايق طاعة واعظم فساد
يكون في دولة الملك من امرين احدهما الوزير الخائن والثاني
من نيّة الملك الرديّة الفاسدة قال انوشروان شرّ الوزراء
من جرّأ السلطان على الحرب والقتال في موضع يمكن ان يكون
بغير حرب ولا قتال لان الحرب في سائر الاحوال يفني ذخائر الاموال
وفيه تبدّل كرائم النفوس وتهلك مصوّنات الارواح
وقال انوشروان ايضا كل ملك كان وزير جاهلا فمثله
كمثل الغيم الذي يبدو ويظهر ولم يمطر وفي كتاب

ارسطا ليس كلّ امر ينقضى على يد غيرك بلا حرب فهو خير
من ان تفعله بنفسك بالحرب والنّصب والتّعب وهلاك
الانفس والعلماء يضربون فى هذا مثلا فيقولون لا تمسّك
الحيّة بيدك وامسكها بيد غيرك وترتيب الوزراء انّهم
مهما امكنهم ان يتحاربوا بالكتب فيتحاربوا لم تصلح الامور
فالتدبير وبذل المال والصلات والنوال ومتى انهزم عسكرا
عفوا عن ذنوب الجند ولم يستعجلوا بقتلهم لانّه قد يمكن قتل
الاحياء ولا يمكن احياء القتلى لانّ الرّجل حتّى يصير
رجلا يفى اربعين سنة ومن اربعين رجلا رجل واحد
يصلح لخدمة الملوك وان اسر احد من الجند من اصحاب الملوك
كان على الوزير ان يستفكه ويفتديه ويخلّصه ويشتريه
ليسمع الجند بصنيعه فتقوى قلوبهم لمباشرة الحرب وعلى الوزير
ان يحفظ ارزاق الجند كلّ انسان على قدره وان يهيّئ للرّجال
الشّجعان الآت الحرب وان يخاطبهم باحسن الكلام
ولين لهم فى الخطاب لانا لجند قتلوا اكثر من الوزراء فى قديم

الزّمان وسالف الاعوام ومن سعادة السّلطان ومن طالعه وعلوّ
جدّه ان يكون له وزير صالح ومشير ناصح لانّ النّبى صلى الله
عليه وعلى اله وسلم قال اذا اراد الله بامير خيرا قيّض له وزيرا
صالحا ان نسى ذكّره واذا اراد الله بامير شرّا قيض له
وزير سوء ان نسى لم يذكّره وان ذكر لم يعنه قال مؤلّف
الكتاب رحمة الله تعالى انّ الله جلّت عظمته يظهر قدرته
فى كلّ حين واوان ويصطفى رجالا يختارهم كالسّلاطين
والوزراء واكابر العلما ومن عجايب الزّمان حديث البرامكة
الّذين لم يوجد لهم فى الدّنيا مثل ولا نظير فى الكرم والسّخاء
وبذل المعروف والعطاء وكان تحت حكمهم اكثر الولايات
الوافرة والمعظّم البلاد والارتفاعات وبعد هلاكهم فسدت
احوال الوزراء ولم يبق لها رونق الى ان ظهرت السلجوقيّة وظلّ
دولتهم وصارت الوزراء فى غاية النّظام ووصلوا الى غاية
الدّرجة كالوزراء المتقدّمين واعلا من ذلك بحيث لم يبق
احد فى الدّنيا من اهل الفضل والادب وابناء السّبيل والغرباء

من شريف ووضيع الا وهو مشمول باحسانهم مغمور بنعمهم
ولم يكن احد محروما من خيرهم وبرهم وانما ذكرنا هذا الكلام
ليعلم من يقرأ كتابنا هذا الفرق بين الصالح والطالح و
قال بعض الفضلا لا تقاس الاشياء بعضها ببعض لان جواهر
الانسان تختلف وانما زينة الدنيا جميعا بالناس والباري جلّ
قدرته لا ينسب الى الخطايا ويهب الصلاح لمن يشاء ويوفي كلّ
واحد ما يصلح له ويليق به فينبغي ان تكون وزراء الملوك
ومدبّري دولتهم على هيئة الصفة وان يحفظوا رسوم المتقدمين
وطرائقهم وان يلتمسوا الاموال التي تؤخذ من الرعيّة في
اوقاتها وعند وجوبها واباّنها ليعرفوا الرسم ويحملوا الرعيّة
حسب طاقتها وقدر قدرتها ويكونوا في صيدهم كصائد الكن
لا كصائد العصفور ولا يجوز لهم ان يحرصوا على تناول
اموال المواريث ما دام الوارث موجودا والطمع في ذلك مشؤوم
غير جايز ويجب عليهم ان يستميلوا قلوب الرعيّة والحشم
بهبات الفوايد والنعم ليعلموا ان كفايتهم وصلاحهم
منوط الرعيّة ليحسن ذكرهم في الدنيا وينالوا جزيل الثواب في
الاخرى

باب الكتاب

واما بهم قال العلماء ليس
شيء في الدنيا افضل من القلم لانّ به تمكن اعادة التالف ومن
شرف القلم وفضله انّ الله تعالى اقسم به فقال عزّ من قائل نون
والقلم وما يسطرون وقال تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق
خلق الانسان من علق اقراء وربك الاكرم الذي علّم
بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم وقال رسول الله صلّى الله عليه
وعلى اله وسلّم اوّل ما خلق الله القلم فجرى بما هو كاين الى
يوم القيمة قاله بن عبّاس في تفسير هذه الاية

حكايت

عن يوسف الصدّيق عليه السّلام في قوله تعالى قال اجعلني
على خزائن الارض اني حفيظ عليم معناه كاتب حاسب وقيل
انّ القلم ضايع الكلام قال بن المعتزّ القلب معدن والعقل
جوهر والقلم ضائغ والخطّ صناعة قال جالينوس القلم
طبيب الكلام قال الحكيم القلم طلسم كبير وقال الاسكندر
الدنيا تحت شيئين القلم والسيف والقلم اذن المتعلمين وبضاعتهم

وبهُ يعرف راى كل انسان من قرب وبعد ومهما كان
الرّجل مجرّبا والسّيف تحت القلم للزّمان فانّه ما لم ينظر فى الكتب
لايكون كامل العقل لانّ مدّة عمر الانسان معلومة ومعلوم
ايضا هذه المدّة القريبة والعمر القصير حتّى كم يمكنهُ ان يحفظ
بقلبهُ والسّيف والقلم حاكمان فى جميع الاشياء ولولا السّيف
والقلم ما قامت الدّنيا واما الكتاب فلا يجوز لهم ان يعرفوا
اكثر من حدود الكتابة ليصلحوا لخدمة الاكابر وقال الحكما
والملوك القدماء ينبغى ان يكون الكاتب عالما بعشرة اشياء
الاوّل بعد الماء وقربه تحت الارض ومعرفة استخراج الاشياء
ومعرفة زيادة اللّيل والنّهار ونقصانهما فى الصّيف والشّتاء
ومسير الشّمس والقمر تحت الارض والنّجوم ومعرفة الاجتماع
والاستقبال والحساب بالاصابع والحساب بالهنديّة
والتّقويم واختيارات الايّام وما يصحّ للمزارعين ومعرفة
الطّلب والادويّة ومعرفة ريح الشّمال والجنوب وعلم الشّعر
والقوافى ومع هذا كلّهُ ينبغى ان يكون الكاتب حفيف

الرّوح طيّب للقاء عالما ببريّة القلم وقطّهُ ورفعهُ وخطّه
ومهما كان فى قلبه ظهر بقلمه ويحرس نفسه من طغيان
قلمهُ وينبغى للكاتب ان يعلم اىّ حرف يجوز ان يمدّ واى حرف
ينبغى ان يكون مجتمعا متصّلا وليكن الخط مبيّنا ويعطى كلّ
حرف حقّه كما يحكى انّه كان لعمر بن الخطاب رضى الله عنهُ
عاملًا فكتب الى عمر رضى الله عنه كتابًا ولم يظهر سين
بسم الله الرّحمن الرّحيم فقال له عمر رضى الله عنه اظهر
سين بسم الله ثمّ توجّه بعد ذلك الى عملك واوّل ما ينبغى
ان يعلم الكاتب بريّة القلم فانّ الانسان اذا كان يعرف الخطّ
ولا يحسن ان يبرى القلم فانّ الخطّ يجئ كما جاء فى بعض الحكايات
انّه كان لشاهنشاه حاكم الرّى عشرة من الوزراء وكان
فى جملتهم الصّاحب اسماعيل بن عبّاد فاجتمع الوزراء وقالوا
انّ الصّاحب لا يبرى القلم فلمّا علم الملك بذلك جمعهم و
عرّف الصّاحب بذلك فقال الصّاحب اىّ ادب فيكم واىّ
علم لا اعرفه حتّى تتحدّثوا عنّى بحضرة الملك فانّ ابى علّمنى الوزارة

ولم يعلمني التجارة واول ادني بريه القلم فهل فيكم من يقدر ان
يكتب كتابا تاما بقلم مكسور الراس فعجز الجماعة عن ذلك
فقال له الملك اكتب كما قلت فاخذ الصاحب قلما مكسورا
واكتب به درجا تاما فتعجب الملك بذلك واقر جماعة
الوزراء بفضله واعترفوا بادبه وسداده واجود الاقلام ما كان
اصفر اللون رقيق الوسط والقلم المحرف من الجانب الايمن يصلح
للخط العربي والفارسي والعبري واللسان الدرني يجب ان
يكون قلمه محرفا من الجانب الايسر وخير الاقلام ما وصفه يحيى
بن ليث قال الاقلم غليظ ولا دقيق ويجب السكين التي تبرى بها
الاقلام حادة وان تكون بريه القلم على شكل منقار الكركي
محرفا من الجانب الايمن وينبغي ان يكون المقط الذي تقط عليه
الاقلام في غاية الصلابة ويجب ان تكون الاقلام فارسية
خفيفة الوزن والكاغد صقيلا متساويا في غاية
الصقالة وكل حرف لابد له من ثلاثة احرف يجب مده
وما كان اقل فلا يجب لانه يتوحش بذلك الخط ولا تكون

صورة الحروف يشبه بعضها بعضا ولا يقدر على ذلك الا
حكيم عاقل ومن تعود ثانا مله على ذلك كان عبد الله
بن رافع كاتبا لامير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
فاراد ان يكتب كتابا فقال له الفه دواتك وحرف قلمك
ووسع بين السطور واجمع بين الحروف وكان عبد الله بن جعفر
كاتبا محسنا فقال يوما لغلمانه لتكن اقلامكم محرفة
فان لم تكن محرفة فلتكن صفرا وقطعوا عقد الاقلام لئلا
تعقد الامور ولا يجوز انفاذ كتاب بغير ختم فان كرام
الكتاب ختمه قال عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه
في تفسير قوله تعالى انى القي الي كتاب كريم اي مختوم و
امر النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم ان يكتب كتاب الى
العجم وقال انهم لا يقرؤن كتابا بغير ختم فان كسرى
الكتاب ختمه فختمه رسول الله صلى الله عليه وعلى اله و
سلم بخاتمه الشريف وكان على فصه مكتوب ثلثة اسطر
محمد رسول الله محمد سطر ورسول سطر والله تعالى سطر

وروي صخر بن عمران رسول الله صلى الله عليه وعلى اله
وسلم لما كتب كتابا الى النجاشي رماه على التراب ثم انفذه
فلما وصل اليه اسلم ولما كتب كتابا الى كسري لم يلقه على
التراب فلم يسلم وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم تربوا رقاعكم
وكتبكم بنجح وقال صلى الله عليه وسلم تربوا الكتاب فان
التراب مبارك واذا كتب الكاتب فليقرا الكتاب قبل طيه
فان كان فيه غلط او خطأ اصلحه وينبغي ان يجتهد الكاتب
بان يكون الكلام قصيرا والمعنى طويلا وان لا يكرر الكلام
فان يحترز من الالفاظ الثقيلة ليكون الكتاب محمودا وفي
باب الكتابة كلام طويل كثير جدا فاقتنعنا منه بهذا القدر
لئلا يطول الكتاب فقد قيل خير الكلام ما قل ودل ولم
يطل

باب ذكر سمو الهمة

حصوصا هممن الملوك قال امير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجتهدان لا تكون
دني الهمة فاني ما رايت شيئا اسقط لقدم الانسان من تدان
همته وقال عمر بن العاص المرء حيث وضع نفسه يريد به انه
ان اعز نفسه علا امره وان اذلها ذل وهان قدره وتفسير
معنى الهمتان يرفع نفسه فان الانفة من هم الاكابر
لانهم يرفعون قدر انفسهم فيعزونها ولا يرفع قدر احد حتى
يكون هو الرافع قدر نفسه واعزاز المرء نفسه هو ان لا يختلط
بالارازل ولا يعمل عملا لا يجوز لمثله ان يعمله ولا يقول ما يعاب
به والهمة والانفة هما من اخلاق الملوك لمعرفتهم قدر انفسهم
فان الله تعالى قد ركب فيهم هذه الخصلة فلينعلمها من الوزراء
والندماء والاكابر كما جاء في بعض الحكايات ان
ابا الدوانيق امر لرجل بخمسمائة درهم فقال احمد بن الخطيب
لا يجوز للملك ان يعطي ما دون الف درهم وكان هرون
يوما راكبا في موكبه فسقط فرس رجل من عسكره فقال
هرون ليعطى خمسمائة درهم فاشار اليه يجبي بعينه وقال
هذا خطا فلما نزلوا قال له هرون اي شي فعلت من الخطا حتى
اشرت بعينك الي فقال انه لا يجوز انه يجري على لسان احد
من الملوك في العطاء اقل من الف درهم فقال له الرشيد فان

اتّفقت حاجة باقلّ من هذا القدر فقال تدفع له فرسًا او قوسًا
او غير ذلك على العادة والرّسم فتكون قد نزّهت همّتك ونفسك
عن ذكر الحقير ولهذا السّبب خلع المامون ابنه العبّاس من
ولاية عهده وذلك انّ المامون اجتاز ببيت ابنه العبّاس فسمعه
يقول لغلامه يا غلام اني قد رايت بباب الرّصافة بقلا حسنًا
فاعجبني فخذ نصف درهم واذهب الى الرصافة واتني منه فاديبه
المامون من اين علمت انّ للدرهم نصفًا اذهبه فانت لا تصلح
للخلافة ولا لولاية العهد ولا ياتي منك صلاح ولا فلاح

حكمة يقال انّ في وصية بن اردشير لولده انه قال اذا
اردت ان تهب لاحد من اولادك واخوتك شيئًا فاجتهد ان لا
يكون عطاؤك اقلّ من قيمة دخل ولاية او قرية او بلد او رستاق
ليستغني الشخص الّذي تهبه وتزول حاجته وتستغني عقبه
واولاده ما عاشوا فتحصل بذلك في جسنات الاحياء لا في
حسنات الاموات واجتهد ان لا ترغب في التجارة بوجه من
الوجوه فانّ ذلك يدلّ على خسّة النّفس وقصر الهمة **حكاية**

يقال انه كان للملك هرمز بن شابور وزير في بعض البلاد
فكتب اليه كتابا يذكر فيه انه قد وصل الينا من جانب البحر
تجار ومعهم اللّؤلؤ والياقوت والجواهر النّفيسة القيمة واني
قد اشتريت منهم لرسم الخزانة بمبلغ مائة الف دينار والان
قد حضر فلان التّاجر وهو يطلب الجواهر بربح كثير فان رغب
الملك بذلك والّا فليرسم ما يتقدّم به وما يراه فكتب هرمز
الجواب وقال ما نة الف ومائة الف ومثلها ومثالها ليس لها
في اعيننا قيمة لنرغب فيها واذا علمنا لخزن التجارة فمن يعمل الامارة
والسّلطنة فانظر ايّها الجاهل لنفسك لا تعود لمثل هذا و
تخلط في اموالنا درهمًا واحدا ولا دانقا فردًا من وجوه التّجارات
فانّ ذلك يسقط قيمة الملك وحرمة السّلطنة ويزري
باسم السّلطان ويقبح قاعدته ورسمه وذكره في حيوته
وبعد مماته قيل انّ الامير عمارة كان في بعض الايّام جالسًا
في مجلس الخليفة المنصور وكان قد نظر في ديوان المظالم يومًا
من الايّام فقام رجل واشتكى وقال يا امير المؤمنين انا مظلوم

فقال ومن ظلمك فقال عمان بن حمزة اغتصب ضياعي وانتزع
املاكي وعقاري فامر المنصور ان يقوم من مقامه ويجلس مع
غريمه ويساويه خصمه في المحاكمة فقال عمان بن حمزة يا امير
المؤمنين ان كانت الضياع له فما انازعه فيها وان كانت لي
فقد وهبتها له ولا اقوم من مقام اكرمني به المؤمنين فعجب
الناس من شرف نفسه وعلو همته وكمال مروته والهمة والنهمة
على شكل واحد وكل انسان له فيها نصيب فواحد بالسخاء
واطعام الطعام واخر بالعلم واخر بالعبادة والزهد والقناعة
وترك طلب الدنيا وطلب العقبى واخر يطلب الزيادة في المال واخر
في بذل النوال فينبغي ان يكون كما جاء في بعض الحكايات يقال ان
يحيى بن خالد البرمكي خرج من دار الخليفة راكبا الى داره فراى
على باب داره رجلا فلما قرب منه نهض قايما وسلم عليه وقال يا يحيى
انا محتاج الى شيء مما في يدك وقد جعلنا الله تعالى وسيلتي
اليك فامر يحيى ان يفرد له موضع في دار وان يحمل اليه في كل
يوم الف درهم وان يكون طعامه من طعامه المختص به

ففي على ذلك شهرا كاملا فلما انقضى الشهر وصل
اليه ثلاثون الف درهم فاخذ الرجل الدراهم وانصرف
فقيل ليحيى ان الرجل قد ذهب فقال يحيى والله لو اقام مدة عمره
ما منعته صلتي ولا قطعت عنه ضيافتي قال بعض الحكماء
احتقاد الناس والاكابر من شوم الطبع وقبح الاصل
وحسة النفس وركة الهمة واما الهمة مع الجد تحمد وتلطف
وتطرف لان الرجل اذا كان ذا همة وجدة غير مساعد لم
يكن له من همته سوى الاخطاط لانه يجب ان تكون الهمة
عالية والمجد عال وقال ايضا الكلام بالدرجة والعمل
بالقدة فينبغي ان تكون الهمة الى بغداد والزاد الى فرسخين
كان عبد العزيز بن مروان امير مصر قد ركب ذات يوم واجتاز
بموضع واذا برجل ينادي ابنه يا عبد العزيز فسمع الامير نداءه
فامر له بعشرة الاف درهم لينفقها على ذلك الولد الذي
هو سميه فغشي الخبر مدينة مصر فصار كل من جاء له ولد
في تلك السنة سماه عبد العزيز وبضد ذلك كان الحاجب باش

امير انخراسان فاجتاز يوما برجل نجار وهو ينادي غلامه وكان
اسمه باش فامر بصادرة السوق وقال انما اردتم الاستخفاف
باسمي فانظر الى الحر القرشي كم بينه وبين العبد المشتري بالدراهم
وفي هذا الباب كلام طويل ان ذكرناه طال الكتاب فينبغي
ان تعلم الآن ان سمو الهمة يوصل صاحبه الى مراده من الزمان
كما قال بعضهم سبى لمجدٍ ولى علم يعز فمنى
انى سادركه ما دمت اطلبه لو كنت في خدمة السلطان ذا طلب
للمال ما كنت من حامية اخطبه امّا المحمود من الرجال فهو
الذي لا تتخاوز همته فوق قدرته لئلا يعيش مغتما طول حياته

كما قال الشاعر

لو كنت تقنع بالكفاية لم تكن في الدهر ارفه منك عيشا فيه
او كنت فيما فوق ذلك طامعا لم تكفك الدنيا بما تحويه
ما ذا يفيد علوهمتك التي لا تستجيب بمثل ما تبغيه

باب ذكر حكمة الحكماء

امّا الحكمة فانها عطاء من الله
تعالى يؤتيها من عباده قال ابقراط مثل من اتاه الله تعالى الحكمة
وهو يعمل بحرصه للمال كمثل رجل يكون ذا صحة وسلامة
فيتبعها بالتعب والعناء فان ثمرة الحكمة الراحة والعلو وثمرة
المال التعب والبلاء قال ابن المقفع كان لملوك الهند كتب كثيرة
لا تحملها الفيلة فامر واحكماءهم ان يختصروها فاتفقوا على
اختصارها فاختصروها باربع كلمات احدها للملوك وهو
العدل والثاني للرعية وهو الطاعة والثالث للنفس وهو
الامساك عن الاكل الى وقت الجوع والرابع للغني حتى
لا ينظر الى غير نفسه **حكمة** قال بعض الحكماء الناس اربعة
رجل يدري ويدري انه يدري وذلك عالم فاتبعوه ورجل
يدري ولا يدري انه يدري فذلك ناس فذكروه ورجل لا يدري
ويدري انه لا يدري فذلك جاهل فارشدوه ورجل لا يدري
ولا يدري انه لا يدري فذلك شيطان فاحذروه وسال الغمان
ابنه اى شئ اقرب الاشياء قال الاجل فقال اى شئ ابعد الاشياء
فقال الامل قال الاحنف بن قيس شيآن لا تشم معهما حيلة
اذا اقبل الامر فلس للادبار فيه حيلة واذا ادبر الامر فليس

للاقبال فيهُ حيلة وقال الاحنف بن قيس ايضا لولده شيأن اذا
حفظتهما لاثبا لى بما ضيعت بعدهما درهمك لمعاشك
ودينك لمعادك حكمة قال انوشروان لبعض النّاس لاىّ
سبب تجعل الصدّيق عدوّا قال لسبب سوء الظنّ وقال انوشروان
صحة الجسم خير من شرب الادوية وترك الذّنب خير من الاستغفار
وترك الشّهوات خير من كظم الغيظ ومخالفة الهواء خير
من دخول النار وقال رجل من الحكماء المتقدّمين وكان يطوف
البلاد عدّة سنين وكان يعلم النّاس هذه الكلمات الستّ
وهنّ من ليس له علم ليس له عزّ فى الدّنيا ولا فى الاخرة ومن ليس
صبر فلا للسّلامة فى وجه ومن كان جاهلا فلا ينتفع بعلمهُ ومن
لا تقوى له فما له عند الله تعالى كرامة ومن لا سخاء له فما له من
مالهُ ومن لا نصيحة له فما له عند الله تعالى حجّة حكمة سئل
حكيم اى عزّ يكون بالذّلّ متصلا فقال العزّ فى خدمة السّلطان
والعزّ مع الحرص والعزّ مع السّفه حكمة سئل حكيم بما تؤدّب
البلهُ قال بان يؤمروا بكثرة الاشغال ويستخلفوا فى مشقّات

الاعمال بحيث لا يجد لهم الى الفضول طريق ولا فراغ وقيل لهُ بما
يؤدب الاخساء قال باهانتهم واحتقارهم ليعرفوا اوضاعهم
واقدارهم قيل وبما يؤدّب الاحرار قال بالتوقيف فى قضاء حوائجهم
وسئل من الكرم قال من يهب ولم يذكر انّه قد وهب وقيل
لاىّ سبب يتلفون النّاس نفوسهم لاجل المال قال لانّهم يظنون
انّ المال خير الاشياء وقيل ايكون شى اعزّ من الرّوح بحيث يعطون
النّاس فيهُ ارواحهم ولا ينالونهُ قال ثلثة هى اعزّ من الرّوح
الدّين وترك الحقد والخلاص من الشّدايد وسئل ايضا فى اىّ شئ
يكون العلم والكرم والشّجاعة فقال زينة العلم الصّدق وزينة
الكرم البشر وزينة الشّجاعة العفو عند القدرة قال
يونان الوزير ثلثة اشياء من عظم البلاء كثرة العيال مع قلّة
المال والجار السّئ الجوار والمراة التى لا تتقى وانفق العلماء
على ان اعمال اهل الدّنيا جميعها خمسة وعشرون وجها
خمسة منها بالقضا والقدر وهى طلب الزّوجة والولد والمال
والملك والجاه وخمسة منها بالكسب والاجتهاد وهى

العلم والكتابة والفروسية ودخول الجنة والنجاة من النار
وخمسة منها بالطبع وهي الوفاء والمداراة والتواضع والسخاء
والصدق وخمسة منها بالعادة وهي المشي في الطريق والاكل
والنوم والجماع والبول وخمسة منها بالارث وهي الجمال وطيب
الخلق وعلو الهمة والتكبر والدناءة ويقال ثلثة من الشدائد
التي لا يجوز نسيانها وهي فناء الدنيا وانقضاءها وتقلب احوال
الزمان ومحن الدهور وسبب شاوى الدنيا الطعام السائغ
والولد السليم الاعضاء والصاحب الموافق والامير الشفيق
والكلام الصحيح النظام والعمل التام حكمة قال الحكيم
خمسة اشياء ضايعة السراج في الشمس والمطر في السباح
المالحة والمراة الحسناء عند الاعمى والطعام بين يدي الشبعان
وكلام الله سبحانه في صدر الظالم وسئل الاسكندر لم
تكرم معلمك فوق اكرام ابيك فقال لان ابي سبب حيوتي
الفانية ومعلمي سبب حيوتي الباقية وقال اذا كانت بغتة
الله تعالى تجري الامور كلها فالاجتهاد محظور وتاركه مشكور

وقال اذا لم يمش معك الزمان كما تريد والانسان عدا الزمان
والزمان عدو الانسان وكل نفس يتنفسه الانسان فقد
يبعد من الحيوة ويقرب ممن الممات حكمة قيل سال قوم الحكماء
فقالوا عرفونا من ابواب الحكمة ما ننتفع به ارواحنا واشباحنا
لنجتهد فيه وما يضرنا لنبعد عنه فقالوا علموا وتيقنوا ان اربعة
اشياء تزيد في نور العين واربعة تنقص نورها واربعة اشياء
تسمن الجسم وتخصبه واربعة تضعفه وتهزله واربعة تصح
الجسم واربعة توهي البدن واربعة اشياء يحيي القلب و
اربعة تميته فاما الاربعة التي تزيد في نور العين وتحد
النظر فالنظر الى الخضرة والماء الجاري وشرب الماء الصافي
والنظر الى وجه المحبوب واما الاربعة التي تنقص النظر فهي
اكل الطعام المالح وصب الماء الحار على الراس والنظر
الدايم الى عين الشمس والنظر الى وجه العدو واما الاربعة
التي تخصب الجسم وتسمنه فهي لبس الثوب الناعم وخلو البال
وشم الرايحة الذكية والنوم في المكان الدافي واما الاربعة

التي تضعفه وتهزله فاكل اللحم الغديد وكثرة الجماع وطول
المكث في الحمام ونوم العشاء واما الاربعة التي تصح الجسم
فاكل الطعام في وقته وحفظ مقادير الاشياء ومجانبة
الاعمال المشقة وترك الحزن من غير موجب واما الاربعة التي
توهي البدن فسلوك الطريق الصعب وركوب الفرس الحرون
والمشي التعب ومجامعة العجايز واما الاربعة التي تحيي القلب
فالعقل النافع والاستاد العالم والشريك الامين والزوجة
الموافقة والصديق المساعد واما الاربعة التي تميت القلوب
فبرد الزمهرير وحر السموم والدخاخين المكربة ومخافة العدو
وقال سقراط الحكيم خمسة اشياء يهلك الانسان فيها
لنفسه خديعة الاصدقاء والانقلاب عن العلم واحتقار
الرجل نفسه واحتمال المكر من لا يسويه واتباع الهوى حكمة
قال ابقراط خمسة لا يشبع منها خمس عين من نظر وانثى من ذكر
واذن من خبر ونار من خطب وعالم من علم وسئل حكيم ما
امر الاشياء في الدنيا وما احلاها فقال امر الاشياء في الدنيا

الكلام الخشن ممن لا يهتم له والدين الفادح وضيقه
اليد واحلى الاشياء الولد والكلام الطيب وسئل حكيم
ما الغنى فقال القناعة والرضى وسئل حكيم ما الموت وما
النوم فقال النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل فقيل ما العشق
فقال مرض في الروح وموت في الجسد قيل ارسطاطاليس
اى صديق اوثق واي صاحب ارفق فقال الصديق الاصيل
اشفق والصاحب القديم ارفق وتدبير العقلاء افضل قال
جالينوس سبعة اشياء يورث النسيان استماع الخبر الذي لا
يتصوره القلب والحجامة في الرقبة والبول في الماء الراكد
واكل الحوامض والنظر الى وجه الميت والنوم الكثير والنظر
الى الاماكن الخراب وقال في كتاب الادوية ان النسيان
يحدث من سبعة اشياء من كثرة البلغم والضحك بالقهقهة واكل
المالح واللحم السمين وكثرة الجماع والتعب وسائر الروائح
والرطوبات فان ذلك كله يورث النسيان حكمة قال ابو القاسم
الحكيم فتن الدنيا تحدث من ثلثة نفر فاضل الاحبار وطالب

استماع الاخبار ومتلقي الاخبار فهؤلاء الثلثة لا يخلصون
من الملامة قال الحكيم ثلثة اشياء لا تجتمع مع ثلثة اكل الحلال
مع اتباع الشهوات والشفقة مع ارتكاب الغضب وصدق
المقال مع كثرة الكلام حكمة قال الحكيم ان شئت ان تشبر
مع الابدال فحوّل اخلاقك الى اخلاق الاطفال قيل وكيف ذلك
قال الان في الاطفال خمس خصال لو كنّ في الكبار لكانوا ابدالا
وهي انهم لا يغتمون للرزق واذا مرضوا لم يشكوا الى خالقهم
وانهم ياكلون الطعام مجتمعون واذا خاصموا لم يتجافدوا
واسرعوا الى الصلح وانهم يخوفون فيخافون بادنى شيء تدمع
اعينهم قال وهب بن منبه في التورية كلمتان مكتوبتان وهما
كل عالم لم يكن متورعا فهو كالص وكل رجل خال
من العقل فهو والبهيمة على مثال واحد قال بعض الحكماء اصل
الزعامة العطف واصل الذنب العجلة واصل الذل البخل
حكمة قال الحكيم ينبغي ان يكون الانسان لقلبه خادما و
بقلبه مقدما وبعبادته ابلها اي يتجاوز عن الجيد والرديّ

وينبغي ان يسمع كلام الحكمة من غير حكيم حكمة قال الاحنف
بن قيس لا صديق للملوك ولا وفاء للكذوب ولا راحة لحسود
ولا مروّة لديّ ولا زعامة لسيّئ الخلق قال ذو الرياستين اشتكى
رجل من خصم له الى الاسكندر قال اتحبّ ان نسمع كلامك فيه
بشرط ان نسمع كلامه فيك فخاف الرجل فامسك فقال الاسكندر
كفّوا انفسكم عن الناس تامنوا من ناس السوء حكاية
قيل كان موسى عليه السلام يناجي ربّه على جبل الطور فقال
يا في مناجاته ربّ ارني عدلك وانصافك فقال له يا موسى انت
رجل حادّ جريء لا تقدر ان تصبر فقال يا ربّ صبرا فقدر
على ذلك بتوفيقك اياي فقال اقصد العين الفلانية وقف
عندها وانظر الى قدرتي وعلمي بالغيوب فمضى موسى وقعد
تحت شجرة وراء تلك العين مختفيا فوصل الى تلك العين فارس
فنزل عن فرسه وتوضّئ من العين وشرب منها وحمل من وسطه
كيسا فيه الف دينار فوضعه الى جانبه ثم صلّى وتركه
ومضى ونسي الهميان في موضعه ثم جاء صبيّ صغير فشرب

من ذلك الماء ووجد ذلك الهميان فاخذه ومضى فجاء بعد
الصبي شيخ اعمى فشرب من ذلك الماء وتوضئ ووقف يصلي فردّ
الفارس الهميان فعاد من طريقه الى تلك العين فوجد الشيخ
الاعمى فلزمه بالهميان وقال ما جأ الى هناك غيرك فقال له انا
رجل اعمى كيف آخذ هميانك فغضب الفارس من كلامه وجذب
سيفه وضرب الاعمى فقتله وفتشه فلم يجد عنده شيئا فقال موسى
الهي وسيدي قد نفد صبري وانت عادل فعرفني كيف هذه
الاحوال فقال الله تعالى يا موسى انا عالم الاسرار اعلم ما لا تعلم
اما الصبي الذي اخذ الهميان فقد اخذ حقه وملكه لان ابا
ذلك الصبي كان له في ذمة الفارس بقدر ما كان في الهميان
فوصل الى الصبي حقه واما الشيخ الاعمى فانه قتل عمه قتل ابا
ذلك الفارس فقد اقتص منه ووصل الى كل ذي حق حقه فعدلنا
وانصفنا دقيق فلما علم موسى ذلك تاب واستغفر وهذه الحكاية
اوردناها لنعلم العلماء ويتصور الابناء ان الله عز وجل لا يخفى
عنه شيء وانه ينصف المظلوم من الظالم في الدنيا والاخرة

ولكنا غافلون عما يراد منا واذا جاءنا بلاء لا ادري من
اين جاء سئل ذو القرنين فقيل له اي شيء من ملكك انت به
اكثر سرورا قال شيئين احدهما العدل والانصاف والثاني
اكافئ من احسن الي باكثر من احسانه قال رسول الله صلى
عليه وسلم ان الله يحب الاحسان في كل شيء حتى انه يحب الانسان
اذا اراد ذبح شاة فامضى لها المدية ليعمل خلاصها من الم الذبح
وقال موسى عليه السلام ان الله تعالى لم يخلق في الدنيا شيأ افضل
من العدل والعدل ميزان الله تعالى في من تعلق به او وصله الى الجنة
وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم
ان للمحسن عند الله منازل حتى المحسن الى اهله واتباعه وقال
قتادة رضي الله تعالى عنه في تفسير هذه الاية الا تطغوا في
الميزان قال اراد به العدل فقال يا بن آدم اعدل كما تحب ان يعدل
لك وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى لما اهبط ادم الى الارض اوحى الله اليه هذه
الكلمات الثلاث وهي كلمة لي وكلمة لك وكلمة بينك وبين

النّاس امّا الكلمة الّتي هي لي هي ان تعبدني ولا تشرك بي شيئا
وامّا الكلمة الّتي هي لك هي ان اجازيك بعلمك وعملك
وامّا الكلمة الّتي هي بيني وبين النّاس فهي ان تعدل فيهم
وتنصف بينهم قال فتناد الظّلم ثلثة ظلم لا يغفر لصاحبه ابدا
وهو الشّرك بالله قال الله تعالى انّ الله لا يغفر ان يشرك به و
ظلم لا يدوم عذابه فانّه ظلم النّاس بعضهم لبعض وظلم يغفر
لصاحبه وهو ظلم العبد نفسه بارتكاب الذنوب ثمّ يرجع
الى ربّه فيتوب فانّ الله غفور رحيم جواد كريم واعلم انّ
الدّين والملك توامان كولدين في بطن واحدة مثل ولدين
في الدّنيا فيجب ان يهتمّ الملك في امور الدّين ويؤدي الفرايض
في اوقاتها ويتجنّب الهوي والبدع والمنكر والشّبهة وكلّ
ما يرجع الى نقصان الشّرع وان علم انّ في ولايته من ينهشم
في دينه ومذهبه امر باحضاره وهدّده وزجره ووعده
بالعقوبة فان تاب واناب والّا اوقع عليه العقاب ونفاه
عن ولايته واثبت غيره من اعوانه وتخلى ولايته من اهل الاهوية

ويعزّ الاسلام ويجتهد في عمارة الثّغور بانفاذ العساكر والحماة
ويجتهد في اعزاز الحقّ ويحتاط في اعادة رونق السّنّة النبويّة
والسّيرة المرضيّة لتحمد عند الله تعالى طريقته وتعظم في القلوب
هيبته ويخاف الاعداء من سطوته ويعلو قدره وبهاؤه ومنزلته
ويكبر في عيون اضداده ويعظم عند انداده ويجب ان يعلم
انّ صلاح النّاس من حسن سيرة الملك فينبغي للملك ان ينظر
في امور رعيّته ويقف على قليلها وكثيرها وعظيمها وخطيرها
ولا يشارك رعيّته في الاشياء المذمومة والاعمال الرّذيلة ويجب
عليه احترام العلماء وتعظيمهم وتبجيلهم وتوقيرهم وكذلك
الصّالحون وان يثبت على العقل الجميل ويمتنع من الفعل الرّذيل
ويعاقب على ارتكاب القبيح ولا يحابي من اصرّ على المعصية
ليرغب النّاس في الخيرات ويحذروا من السّيّئات ومتى كان
السّلطان بلا سياسة ولم ينه المفسد عن فساده وتركه على
مراده افسد سائر امور بلاده قال الحكماء انّ طباع الرّعيّة
ينتجه طباع الملك لانّ العامّة انّما يتكوّن الفساد اقتداء

ملوكهم لان الناس على دين ملوكهم لانهم يقتدون به
ويتعلمون منه ويلزمون طريقته الاثري انه فذكر في التواريخ
ان الوليد بن عبد الملك كان من ملوك بني اميه كانت همته في
عمارة المساجد والزراعة فاتبعه الناس على ذلك وكان آخر
سليمان بن عبد الملك همته في كثرة الاكل وطيب المطعم وقضاء
اوطار النفس وبلوغ الشهوات فاتبعه الناس على ذلك وكان
عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه همته في العبادة والزهد
والخير فاتبعه الناس على ذلك قال محمد بن علي بن الفضل ما كنت
اعلم ان طباع الرعية تجري على عادة ملوكهم حتى رايت الناس
في ايام الوليد بن عبد الملك قد اشتغلوا بعمارة البساتين والكروم
والمساجد واهتموا ببناء الدور وعمارة القصور وايامهم في
زمن اخيه سليمان قد اهتموا بكثرة الاكل وطيب الاطعمة
حتى كان الرجل يسال صاحبه اي شيء اكلت اليوم وما الذي
صنعت من الاطعمة وراياتهم في زمن عمر بن عبد العزيز قد
اشتغلوا بالزهد والعبادة والتلاوة واعمال الخيرات واعطاء

الصدقات فاعلم الان انه في كل زمان تقتدي الرعية
بسلطانها ويعملون باعماله ويقتدون بافعاله كلها من الجميل
والرذيل **حكايت** كان كسرى انوشروان قد اجتمع يوما
هو وقيصر ملك الروم ويعفور ملك الهند في بستان فتكلم
كل واحد منهم بكلمة حكمة فقال قيصر ملك الروم ليس
شيء في الدنيا اجود من فعل الخير والرسم الصالح والذكر الطيب
فانه يذكره صاحبه في حيوته وبعد مماته وقال انوشروان
تعالوا حتى نفعل الخير ونفتكر في الخير فقال قيصر تعالوا حتى نفتكر
في الخير فانا اذا تفكرنا في الخير علمنا به واذا علمنا الخير نلنا المراد
فقال يعفور نسئل الله تعالى ان يبعد عنا افعالا ان ظهرت
استحيينا وان ذكرناها خجلنا وان فعلناها ندمنا وكان
كسرى انوشروان من حسن سيرته يقرا كتب الملوك المتقدمين
ويطلب استماع حكاياتهم ويمضي على جهتهم وسنتهم
فانظر كيف كانت سيرتهم مع رعيتهم يا سلطان العالم فيجب
عليك ان تسمع اقوال هؤلاء الملوك وتنظر اعمالهم وتقراء

حكايا تهم من كتب الملوك المتقدمة وما فيها من عدلهم
وانصافهم وحسن سيرتهم وطيب خبرهم وذكرهم الحسن الجاري
على السنة الناس الى يوم القيمة كان عمر بن الخطاب رضي
الله تعالى عنه في غاية السياسة والعدل الى ان بلغ من ذلك
انه حد ابنه الى ازمات وكان اذا انفذ عاملا الى الاعمال قال
لهم اشتروا دوابكم واسلحتكم من ارزاقكم ولا تمدوا ايديكم
الى بيت المال ولا تغلقوا ابوابكم في وجه اصحاب الحوايج قال عبد
الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه دعاني عمر بن الخطاب رضي
الله تعالى عنه فاتيته فقال انه قد نزل بباب المدينة قافلة واني
اخاف عليهم اذا ناموا ان يسرق شئ من متاعهم فينبغي ان
تحرسهم هذه الليلة فلما وصلنا اليهم قال لي نم انت حتى احرس
انا فجعل يحرس القافلة طول ليلته وقال عمر رضي الله تعالى عنه
يجب على ان اطوف واسامر في حوايج المسلمين فلا يكون في ولاتي
ابرك من هذه السنة **نكتة** قال زيد بن اسلم رايت ذات ليلة
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو يطوف مع العسس

فتبعته وقلت له اتاذن لي يا امير المؤمنين ان اصحبك قال نعم
فلما خرجنا من المدينة راينا نارا من بعيد فقلنا ما هذا قالوا
ربما يكون قد نزل هناك مسافر فقصدنا النار فراينا امراة
ارملة يبكون من الجوع وقد وضعت لهم قدرا على النار وما
فيها غير الماء تسكتهم بها يحسبون ان فيها شيأ ياكلون
وهي تقول الله بيننا وبين عمر اللهم خذ لنا بالحق منه فلما
سمع عمر رضي الله تعالى عنه كلامها قرب منها وقال لها
اتاذن ان ادخل اليك قالت نعم ان كانت عندك خبر
فتبسم عمر رضي الله تعالى عنه من كلامها وتقدم اليها
وسالها عن حالها واحال اطفالها فقالت هؤلاء اطفالي جياع
وانا جاعية والاطفال جياع وقد بلغ مني ومنهم الجهد
والجوع فقال واي شئ في هذه القدر قالت ماء اسكتهم
به حتى يصبروا ويظنوا ان بها شيا ياكلون فانطلق عمر رضي
الله تعالى عنه الى المدينة فاتى بيت الدقيق فاخرج حملا من
الدقيق فيه كبة من الشحم فحمله قال اسلم قلت له انا احمل عنك

فقال اسلم احمل وزري يوم القيمة قلت لا احمله فانطلق وتبعته
حتى وصلنا الى تلك المراة فرمى الدقيق وجعل ينفخ تحت القدر
حتى رايت الدخان يخرج من خلل لحيته فلما فرغ ادمها بنى من
الشحم وقدم لهم وقعد حتى اكلت الاولاد ونام وافقالت
المراة جزاك الله خيرا يا رجل انت اولى من امير المومنين عمر
فقال وما يدريه بكم قالت يتولى امرنا ثم يغفل عنا فقال عمر
رضي الله عنه للمراة فولي خيرا فانك اذا اتيت الى امير المومنين
عمر وجدتني عنده ثم قال لي يا اسلم اني رايت الصبيان يتضاورون
من الجوع فاحببت اني لا ارجع حتى ينيموا ثم حمد الله تعالى
ورجع الى المدينة وهو اول من دعي يا امير المومنين لان ابا بكر
رضي الله تعالى عنه كان يدعى خليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما وصل الامر الى عمر رضي الله تعالى عنه فكانوا يدعونه
خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم
فقال رجل من الصحابة رضي الله تعالى عنهم يقال له عبد الله
بن جحش هذا يطول ويا تي الذي بعدك فتقول له يا خليفة

خليفة رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم لكن انت امير
المومنين فهو اول من كني بيا امير المومنين حكايت سئل
خازن بيت المال الذي من قبل عمر رضي الله تعالى عنه هل كان
عمر رضي الله تعالى عنه يبسط يده في بيت المال قال كان في اول
الامر اذا لم يكن له شي يقوت به ياخذ من بيت المال قليلا برسم
القوت على سبيل القرض فاذا حصل له شي اعاده الى بيت المال
وخطب يوما فقال ايها الناس قد كان الوحي ينزل علينا في زمن
رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فكنا نعرف به ظاهر
الناس وباطنهم وجيدهم ورديهم والان قد انقطع الوحي
عنا فنحن ننظر الى علانية كل احد والله تعالى اعلم بسريرته
وانا على الجهد وعمالي ولا نا خذ شيا بغير حق ولا يعطى شيا بغير
حق فان شيئت ان تعلم عدل السلطان وجميل ذكره فانظر الى
حكايات عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه فانه لم يكن لاحد
من ملوك بني اميه وبني مروان مثل محدثه ومدحته ولا يدعي
لاحد من بني اميه سواه ولا يثنى الا عليه لعدله وزهده وصلاحه

وخيرٌ وبرٌّ وتقواه. حكايةٌ كان في زمن عمر بن عبد العزيز
رضي الله تعالى عنه قحط عظيم فوفد عليه اناس من العرب فاختار
رجلا منهم يتكلم عنهم فقال ذلك الرجل يا امير المؤمنين انا
اتيناك من ضرٍّ عظيم وقد يبست جلودنا على اجسامنا لفقد
الطعام وهذا المال ما يخلو عن احد ثلثة اقسام اما ان يكون لله
تعالى او لعباد الله تعالى ولك فان كان لله تعالى فالله تعالى غنيٌّ
عنه وان كان لعباد الله تعالى الله تعالى فنحن من عباد الله تعالى
وان كان لك فتصدق علينا به فان الله تعالى يجزي المتصدقين
فبكى عمر بن عبد العزيز وقال هو كما ذكرت ثم امر فقضيت
حوايجهم من بيت المال فلما هموا بالخروج قال عمر بن عبد العزيز
لذلك الرجل المتكلم ايها الرجل كما رفعت حوايجك الي فارفع
حوايجي الى الله تعالى فرفع الرجل يديه ووجهه الى السماء وقال
اللهم افعل بعمر بن عبد العزيز كفعله بعبادك فما استتم
كلامه حتى ارتفع غيم فامطر مطرا كثيرا ثم نزل مع الغيث
بردة كبيرة على صخرة فانكسرت فوجد فيها مكتوب هذه براءة

من الله العزيز لعمر بن عبد العزيز من النار قيل وكان عمر بن
عبد العزيز ينظر في قصص الرعية وحوايجهم في ضوء السراج
فجاء غلامه يحدثه في حاجة تتعلق به وبعياله فقال له عمر
اطف السراج وحدثني لان هذه الدنانير ليت المال المسلمين
لا يجوز استعمالها الا لحوايجهم هذا ما كان من عدله وخيرٌ
وزهده وبرٌّ ونصحه وجاء ايضا في بعض الحكايات انه كان
لعمر بن العبد العزيز غلام قد جعله على بيت مال المسلمين وكان
لعمر بن عبد العزيز ثلاث بنات فجئنه يوم عرفة وقلن له ان نساء
الرعية وبناتهم يقلن لنا انتن بنات امير المؤمنين ولا على واحدة
منكن قميص وطيلسان من الكسوة اقل من ثياب الرعية وبكين عنده
فبكى هو ايضا وضاق صدره واستدعى خازن بيت المال وقال
له اقرضني على مشاهرتي فاذا جاء اخر الشهر احاسبك بها فقال
له الخازن يا امير المؤمنين ان كنت على ثقة من الحيوة الى آخر
الشهر حتى اعطيك وان لم تكن على ثقة من الحيوة كيف اخرج
من بيت المال شيئا بغير حق واجب فتحير عمر وقال له امض ايها

الغلام بارك الله تعالى فيك ثم قال لبنانه اكظم من شهوانكن فان
الجنة لا يدخلها الا من كظم شهوته فلما كان الامر كذلك
وعادة الملوك هكذا كانت نوابهم وحشمهم على قدر حالهم من
العدل والزهد والتقوى والمساواة بين الخصوم بين المجهول
الذي لا يعرف وبين المحتشم صاحب الجاه في مكان واحد في الدعاوي
والنظر اليهما بعين واحدة ولا يفضل احدهما على الاخر حيث
ان احدهما غني والاخر فقير فان في الاخرة الجوهر والخز وبسعر
واحد بهذا المعنى فلا ينبغي لعاقل ان يحرق نفسه بالنار فاذا كان
لرجل ضعيف على سلطان قوي حق او دعوى ينبغي عليه ان يقوم
من سرير مملكته ويعمل بحكم الله تعالى وينصف ذلك الضعيف
ويرضيه ولا يستحي من الحق لقوله تعالى ان الله يامر بالعدل و
الاحسان وحقيقة الامر ان كان للملك على احد حق يسامحه
ويمن عليه به ويامر عماله واتباعه ان يقيدوا به ويعملوا بسيرته
لئلا يسئل عن رعيته يوم القيمة فقد جاء في الخبر الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وعلى اله وسلم انه قال كلكم راع وكلكم

مسئول عن رعيته وكل سلطان فانه يسئل عن رعيته والحال
على هذه الصفة فاعلم ذلك **حكايت** يقال ان اسماعيل بن احمد
خراسان نزل مرو وكان رسمه في اي موضع نزل ان يامر
مناديا ينادي في العسكر ان الجند لا يتعرضون باحد من الرعية
ولا يكلفونهم شيئا فمضى الخربندية الذي هو من اتباعه
ودخل مبطخة واخذ من البطيخ شيئا ياكل فجاء اصحاب المبطخة
وصاحوا عند الملك فطلب الخربندي بين يديه وقال له بغي
لك علينا شي من جامكيتك قال لا قال فما سمعت المناداة قال بلى
قد سمعت قال فلاي شي اذيت رعيتي فقال اخذت شيئا آكل وقد
اخطات فقال لا اقدر لاجل خطاك على دخول النار ثم امر به
فقطعت يده **حكايت** يقال ان اسماعيل السماني كان كلما
وصل الى مدينة يامر المنادي وقت العصر ينادي في الناس
بدفع الحجاب وسماع الشكوى وبرج البواب ليجي كل من له
ظلامة ويقف على جانب البساط ويشتكي مظلمته ويقضي حاجته
وكان يقضي بنفسه بين الخصوم كالقاضي الى ان تفنى الدعاوي

ثم يعود موضعه ويقبض لحيته ويرفع راسه نحو السماء ويقول
الهي هذا جهدي وطاقتي قد بذلته وانت عالم الاسرار تعلم
نيتي فلا اعلم على من جرت في حكومتي ولا اعلم لمن ظلمت ولا لمن انصفت
وانا كواحد من اصحابي فاغفر لي يا الهي من ذلك ما لا اعلم فلما كان
الامر على هذا الحال وكانت سيرة هذا الملك المذكور على
هذه الصفة ارتفعت درجته وعلا قدره فبلغ عسكره
عشرة الاف فارس بالسلاح مقنعين بالحديد ولاجل عدله ونصفه
ظفره الله تعالى بعمرو بن ليث فقبضه وفتح خراسان ثم ان عمرا
انفد اليه وهو في السجن وقال له في خراسان اموال كثيرة
وكنوز عظيمة وانا اسلم اليك الجميع واطلقني من السجن فلما
بلغه ذلك ضحك وقال الى الان لم يستقم معي عمرو بن ليث
يريد ان يجعل المظالم التي ارتكبها والمآثم التي فعلها في
عنقي ويتخلص من ثقل اوزارها في الاخرة قولوا له ما لي حاجة
في مالك بل اخرج بلا مال ثم اخرجه ونفذه رسولا الى
بغداد الى الخليفة فجعل له من الخليفة الخلع والتشريف وجعل

اسماعيل في مملكة خراسان آمنا طيب النفس خالي البال وبقيت
المملكة في عصر السامانية مائة وثلثين سنة فلما انتقل الحكم
والامر الى اصاغرهم وصبيانهم ظلموا الناس وتعدوا عليهم
فزال ملكهم قال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم
عدل السلطان يوما واحدا يعدل عبادة سبعين سنة وقال
رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم من سل سيف الجور
قتل به وسل عليه سيف الغيلة ولازمه الغم كما قال الشاعر

تغضب منك طلق الوجه يوما ... ترى للجور من عدل الجزاء
فقل للناس ما تهوى اشيعا ... ولا تغشل اذا خشيت البقاء

وجاء في السير ان داود عليه السلام كان يوما ينظر الى السماء
فراى شيئا ينزل من السماء على هيئة النخالة فقال الهي ما هذا
قال هذا عذاب انزله على بيوت الظالمين الجبارين حكايت
لما قعد انوشروان في المملكة كتب اليه بوزان الوزير يقول
اعلم ايها السلطان ان امور الملك على ثلثة اشياء اما ان
ينصف رعيته ولا ينتصف منهم وهذه هي الدرجة العليا

او ينصف وينتصف وهذه الدرجة الوسطى او ينتصف
ولا ينصف وهذه هي الدرجة السفلى فانظر ايها الملك اليك
هذه الثلثة واختر ايها شيت وانا اعلم ان الملك يختار الاولى
وهي الدرجة العليا كما قال الشاعر

من انصف الناس ولم ينتصف بفضله منهم فداك الامير
ومن يرد انصافه مثلما انصف اضحى ماله من نظير
ومن يرد انصافه وهو لا ينصفهم فهو الدني الحقير

نصيحة وموعظة دخل شبيب بن شيبة يوما على الخليفة المهدي
فقال له يا امير المؤمنين ان الله تعالى قد اعطاك الدنيا
فاعط رعيتك قسطا من طيب عيشك قال وما ينبغي ان
تعطي الرعية قال العدل فانه اذا نامت الرعية في امن منك
نمت آمنا في قبرك ثم قال له احذر يا امير المؤمنين من يوم
لا ليلة بعده ومن ليلة لا يوم بعدها واعدل ما استطعت
فانك تجازي بالعدل عدلا وبالجور مثله وزين نفسك بالتقوى
فان التقوى لا زينة بعدها في الاخرة كما قيل

فزين نفسك بالتقوى وزينتها فلن يغار ينفي الحسن من يصل
فليس تبلى يد المعروف فاحفظها تزخ كثيرا وراس المال لم يزل

قيل وصل كتاب من قيصر ملك الروم الى نوشروان يقول
له بما ذا يدوم الملك فكتب اليه الجواب اني لا اقول شيئا
بجهالة واذا امرت بامر تممته ولا اتركه لخوف ولا لرجاء وانه
لا اغير شيئا امرت به سئل ارستاطاليس هل يجوز ان يدعي
احد ملكا غير الله تعالى قال من وجدت فيه هذه الخصال
العدل والعلم والسخاء والحلم لان الملوك انما كانوا ملوكا
بالظل الالهي وضياء الحس وطهارة اليقين وتزايد العقل
وقدم الدولة وشرف الاصل والدولة التي كانت في
محتدهم واصولهم فلذلك كانوا ملوكا وسلاطين ومعنى
قولهم هو الظل الالهي ان تظهر في الملك ستة عشر خصلة
العقل والعلم وحدة الذكاء وادراك الاشياء والتاني
وحسن الخلق وانصاف الضعيف ومحبة الرعية واظهار
الزعامة والاحتمال والمداراة في مكانها والراي والتدبير

في الامور والاكثار من قراءة الاخبار وحفظ سير
سير الملوك والفحص عن الاحوال والاعمال التي اعتمدها
الملوك وعملوا بها لان هذه الدنيا بقية دول الملوك
المتقدمين الذين ملكوا ثم مضوا وانقرضوا وصاروا
تذكارا للناس يذكر كل انسان بفعله وينسب الى
ما كان يفعله واعلم ايها السلطان ان الدنيا كنز الآخرة
وكنز هذه الدنيا حسن الثناء وطيب الذكر وكنز الآخرة العمل
الصالح واكتساب الاجر حكمة سال الاسكندر
ارسطاطاليس انما افضل للملوك الشجاعة ام العدل فقال
اذا عدل السلطان لم يحتج الى الشجاعة حكمة كان الاسكندر
قد ركب يوما في موكب مملكته فقال له رجل من مقدمي
عسكره ان الله تعالى قد اعطاك ملكا عظيما فاستكثر
من النساء لتكثر اولادك فتذكر بهم فقال الاسكندر
ليس ذكر الرجال بعدهم بكثرة الاولاد لكن بحسن السيرة
والعدل ورجل غلب رجال الدنيا لا يجوز ان تغلبه النساء

حكمة عزل الاسكندر عاملا من عماله عن عمل جليل
وولاه عملا حقيرا ففعل ذلك الرجل ثم اتى في بعض الايام
الى دركاة الاسكندر فراه ففال له كيف انت في عملك ففال
له اطال الله بقاء الملك الرجال لا تشرف بالاعمال بل الاعمال
تشرف بالرجال وذلك بحسن السيرة والعدل والانصاف
وتجنب الاسراف فاستحسن الاسكندر ما قاله فاعاده
الى ذلك العمل الاول الذي كان له حكمة سئل بعضهم فقيل
له باي شئ يظهر عدل الملك فقال بثلثة اشياء حفظ الاطراف
مع دفع العدو عن الجور واكرام العلماء واعزازهم وتهمم
وحب اهل الفضل لانه كلما جار السلطان خاف اهل
الاطراف وان كانت نعمهم كثيرة فان النعمة تذهب
بالخوف والجور وان كانت النعم قليلة انساغت مع الامن
والعدل وسئل بعضهم فقيل له اي الملوك اعدل واطهر
فقال من امنه الطاهرون وخاف منه المفسدون واما السلطان
الذي لا سياسة له فليس له في اعين الناس حرمة ويكون الناس

عليهُ ثم يذكرونه في كلّ وقت بالقبيح الا تري انّ الانسان
اذا كان من العوام وصار حاكمًا واراد ان يطلب الحساب
من الرّعيّة اوّل ما يكلّمهم بالهيبة ويظهر لهم السّياسة
لعلمهُ انّ الرعيّة انّما ينظرونه بالعين الاولة كما جاء في بعض
الحكايات انّه كان لابي سفيان بن حرب وهو ابو معاوية
ولد يدعى زيادًا وكان قد ولد في زمن الجاهليّة فنفاه ابو سفيان
وتبراء منه وقال ليس هو منّي وليس لي بولد فلمّا وصلت الخلافة
الى معاوية قرّبه وادناه وولاه العراق وكان ذا هيبة عظيم
الشّان فلمّا وصل زياد الى العراق وجد اهل العراق على فسقٍ
وفساد يفسقون ويسرقون فقصد زياد المسجد الجامع فرقا
المنبر وخطب خطبة بليغة وقال في آخرها والله لئن خرج
احد من بعد العشاء الاخر لآخذن راسه فليعلم الشاهد
الغايب ثم امر منادي ينادي ثلثة ايّام ثم خرج في اللّيلة
الرّابعة فركب باصحابهُ وقد مضى من اللّيل ثلثه فجعل يطوف
في محال البلد فراي رجلا غريبا من العرب وقد قدم بغنم لهُ

وهو قايم في بعض الدّرب فقال له زياد ما تصنع ها هنا
فقال دخلت البلد مساء ولم اجد موضعا انزل بهِ فوقفت
مكاني الى ان اصبح وابيع غنمي فقال له زياد انّك لصادق
ولكن ان اطلقتك يشفع عنّي الخبر انّ زيادًا يقول ما لا يفعله
فتفسد سياستي وتثقل حرمتي والجنّة خير لك من مقامك هذا
ثم ضرب عنقه وجعل يدور في البلد فكلّ من وجده ضرب
عنقهُ فلم يزل كذلك الى ان اصبح فحسبوا ما قتل في تلك
اللّيلة فاذا قد قطع الفا وخمس مايتة راس ثم جعل الرّوس
على باب دارهِ كالبيد فهابهُ النّاس وتهولوا من فعله فلمّا
كان في اللّيلة الثانية خرج باللّيل وطاف فلقي ثلثمايتة
رجل فقطع روسهم فلم يخرج احد بعد صلوة العشاء الاخرة
من منزله فلمّا كان يوم الجمعة صعد المنبر وخطب وقال
في آخر خطبتهُ لا يغلق احد دكانهُ باللّيل ومهما سرق منكم
كانت غرامته عليّ فلم يغلق احد دكانهُ تلك اللّيلة فلمّا
اصبح من الغد اتاه رجل صيرفيّ يهوديّ وقال له قد سرق

منى البارحة اربعماية دينار فقال له زياد تحلف على صحة
قولك قال نعم فحلّفه فلمّا حلف وزن له اربعماية دينار وقال له
اكتم هذا الامر ولا تشعر به احدا فلمّا كان يوم الجمعة
الاخرى واجتمع النّاس للصّلوة فخطب وقال في آخر خطبته
اعلموا انّه قد سرق من رجل يهودي صبر في اربعماية دينار
وانتم كلّكم حاضرون فان رددتم ذلك فقد وصل
الى الرّجل حقه وان لم تردوا ذلك فقد تقدمت ان لا يخرج
احد منكم من الجامع وآمر بقتلكم في هذه السّاعة
كلّكم فضج النّاس واشتوروا فيما بينهم ثمّ لزموا من يهمونه
بالسّرقة فاظهروه وقدّموه بين يديه فاخذ المال الّذي كان
قد اخذه وامر بصلب السّارق في الحال ثمّ سال اي محلّة هي في
البصرة ليس فيها امن لا حولها ناس فقيل له محله بني الازد
فامر ان يترك فيها ثوب من الدّيباج له قيمة كثيرة لم ير مثله
فوضع ذلك الثوب في تلك الخربة فبقي فيها ايّاما ملقى بحاله
فلم يأخذه احد فقال له اصحابه قد حصلت السّياسة وقد
اهلكت خلقا كثيرا فقال لشؤم مخالفتهم وفعلهم بعد
ان نادى ثلثة ايّام بان لا يخرج احد بعد العشاء الاخرة
فخرجوا وخالفوا فاستحقّوا ما قد اصابهم **فصل** لا ينبغي
للسّلطان ان يشتغل دايما بلعب الشّطرنج والنّرد وشرب
الخمر ولعب الاكرة والصّيد لانّ هذا لعب ولهو وبطالة
عن المصالح والاعمال ولكلّ وقت عمل فاذا فات الوقت
عاد النّجح خسرانا والسّرور احزانا وانّ الملوك لقد ماء
قسم النّهار اربعة اقسام قسم لعبادة الله تعالى وقسم
لقضاء حوايج المسلمين والنظر في امور المملكة وانصاف
المظلومين وسياسة الجمهور وتنفيذ المراسم والاوامر وكتابة
الكتب وانفاذ الرّسل وقسم للاكل والشرب والنّوم و
التزوّد من الدّنيا والدّخول على النّساء وقسم للصّيد واللّعب
بالاكرة وما اشبه ذلك وقيل انّ للملك بمرام قسم
نهاره قسمين وجعله نصفين فالنّصف الاوّل لقضاء
حوايج المسلمين والنّصف الاخر لنومه وراحته ونسائه

وقيل انّه في جميع ايّامه ما اشتغل يومًا تامًّا بشغل واحد وكان
الملك العادل انوشروان يأمر اصحابه ان يصعدوا على اعلا
مكان في البلد فينظرون الى بيوت النّاس فكلّ من لم يخرج
من بيته دخان نزلوا وسألوا عن حاله فان كان في ضيق وفقر
اعلموا السّلطان بذلك فيزيل ما به من الفقر والحاجة ويجب على
الملك ان لا يرضى لغلمانه ان يتناولوا من الرّعيّة شيئًا بغير حقّ
كما جاء في بعض الحكايات انّ انوشروان كان قد ولّى عاملًا
فانفذ العامل اليه زيادة عن الخراج المعيّن ثلثة الاف درهم
فامر انوشروان باعادة الزيادة الى اصحابها وامر بصلب ذلك
العامل وكلّ سلطان اخذ من الرّعيّة شيئًا على سبيل الغصب
والجور وخزنه في خزانته كان لرجل بنى اساس حائط ولم يصبر
حتّى يجف ذلك الحائط ثمّ بنى عليه وهو رطب فلم يثبت الاساس
ولا الحائط وينبغي للسّلطان ان يهتمّ بامور رعيّته وان يأخذ
ما يأخذه من الرعيّة بقدر لانّ كلّ شئ له حدّ من هذين
الامرين كما جاء في بعض الحكايات انّ الخليفة المامون ولّى

اربعة انفس اربع ولايات واحدا الى خراسان واعطاه
خلعة بثلثة الاف درهم واعطى الاخر بلاد خوزستان واعطاه
خلعة تساوي ثلثة الاف دينار وولّى الاخر ولاية فيصر واعطاه
كذلك ثمّ استدعي مؤيّدا موبذان وقال له يا دهقان
هل اعطى احد من الملوك الاكاسرة في ايّام مملكتهم مثل
هذه العطيّة فانّه قد بلغني انّ خلعتهم ما كانت تبلغ اكثر
من اربعة الاف درهم فقال مؤيّد موبذان اطال الله تعالى
بقاء امير المؤمنين انّه كان للملوك الاكاسرة ثلثة اشياء
ليست لكم احدها انّهم كانوا يأخذون ما يأخذونه من
النّاس بقدر ويعطونه بقدر والثاني انّهم كانوا يأخذون
من موضع يجب منه الاخذ ويعطون لمن ينبغي ان يعطى والثالث
انّهم ما كان يخافهم الّا مذنب فقال له المامون صدقت
ولم يعد جوابا ولاجل هذا كشف المامون تربة كسرى انوشروان
وفتح تابوته وفتّشه ونظر الى صورة وجهه ووجهه بماء
الحسن لا يتغيّر ولم يسل منه شئ وثيابه بحدّتها عليه ما تغيّرت

ولا تمزقت ولا خلقت وخاتمه في اصبعه فصه من الياقوت
الاحمر مكتوب عليه بهُ بهُ بهُ بهُ فامر المامون ان يغطى ثوب
نسيج منسوج بالذهب وكان مع المامون خادم فاخذ
الخادم الخاتم من اصبع كسرى ولم يعلم به المامون فلما علم به
اعادة وقتل الخادم وقال هذا العبد يفضحني بحيث يقال عني
ان المامون كان نباشا وانه فتح تربة كسرى واخذ خاتمه
من اصبعه حكاية قيل ان الاسكندر سال يوما من الايام
العلماء وكان قد عزم على سفر فقال اوصني من الحكمة سببا لا
احكم فيه اشغالي واتقن به اعمالي فقال كبير الحكما والعلما
لا تدخل قلبك حب شي ولا بعضه لان القلب خاصته كاسمه
لانه انما سمي قلبا لتقلبه كما قيل

ما سمي القلب من تقلبه • فاحذر على القلب من قلب وتقليب

واعتمد الفكر واتخذه وزيرا واجعل العقل صاحبا ومشيرا
واجتهد ان تكون في الملك متيقظا ولا تشرع في عمل امر بغير
مشورة وتجنب الميل والمحاباة في وقت العدل والانصاف
فاذا فعلت في ذلك جرت الاشياء على ايثارك وتصرفت فيها
باختيارك وينبغي ان يكون الملك وقورا حليما ولا يكون طائشا
عجولا قال الحكماء ثلثة اشياء قبيحة وهي في ثلثة اقبح الحدة
في الملوك والحرص في العلماء والبخل في الاغنياء كتب
الوزير نوشروان الى الملك العادل نوشروان وصايا ومواعظ
مال ينبغي للملك العالم العادل ان تكون معه اربعة اشياء دايمة
العدل والعقل والصبر والحياء وينبغي للملك العادل ان ينفي
عنه اربعة اشياء الحسد والكبر وضيق القلب والبخل واعلم
يا ملك الزمان ان الملوك الذين كانوا من قبلك مضوا والذين
ياتون من بعدك لم يصلوا فاجتهد ان يكون جميع ملوك
الزمان بجنبك ومشتاقيك حكاية يقال ان كسرى
انوشروان ركب يوما من ايام الربيع على سبيل التنزه والفرجة
فجعل يسير في الرياض والازهار والخضر ويشاهد الازهار
والثمر وينظر الى الكروم فنزل عن فرسه وسجد لله تعالى
ووضع خده على التراب زمانا طويلا فلما رفع راسه قال

لاصحابهٔ انّ خصب الزّمان من عدل السّلطان وحسن
نيّتهٔ فی رعيّتهٔ فالحمد للّٰهٔ تعالی الّذي اظهر حسن نيّتنا فی سائر
الاشياء وانّما قال ذلك لانّه قد جرّب ذلك فی بعض الاوقات
حكاية يقال انّ الملك العادل انوشروان خرج يومًا
الی البصيد فراي صيدا فتبعه وانفرد عن عسكرهٔ خلف ذلك
الصّيد فتعب فراي قرية وضيعة بالقرب منهٔ وكان قد
عطش فدخل القرية واتی الی باب دار قوم وطلب ماء ليشرب
فخرجت بنت صغيرة فابصرته ثمّ دخلت البيت فدفّت قصبة
واحدة من قصب السّكر ووضعته فی قدح والقت فيهٔ
قبضة من التّبن وسلّمته الی انوشروان فنظر الی القدح فراي
فيهٔ تبنا فشرب قليلا قليلا حتّی انتهی الی اخرهٔ فلمّا فرغ قال
شاباش نعم الماء لولا قذي فيهٔ كدرة فقالت الصّبيّة انا عمدًا
القيت القذي فيهٔ قال ولم فعلت ذلك قالت لرايتك شديد
العطش ولو لم يكن فيهٔ القذي لشربتهٔ دفعة واحدة وكان
يضرك شربهٔ فاعجبه كلامها وعقلها وادبها وعلم انّ قولها

من ذكاءٍ وفطنة ثمّ قال لها من كم عصرت ذلك الماء فقالت
من قصبة واحدة فعجب انوشروان من كثرة الماء من قصبة
واضمر فی نفسه انّه اذا عاد ان يامر بزيادة الخراج فی تلك
النّاحية ثمّ مضی وعاد الی تلك النّاحية بعد وقتٍ ثمّ وقف
علی ذلك الباب منفردا وطلب ماءً فخرجت تلك الصّبيّة بعينها
فراته فعرفته ثمّ عادت لتخرج لهٔ فابطات عليهٔ فاستعجلها
انوشروان وقال لها لاي سبب ابطات قالت لانّه لم يخرج من
قصبة واحدةٍ كما خرج من تلك ذلك اليوم وقد دققت ثلث
قصبات ولم يخرج منها ذلك القدر فقال انوشروان وما
كان سبب ذلك قالت الصّبيّة تغيّر نيّة السّلطان فقد سمعنا
انّه اذا تغيّرت نيّة السّلطان علی قوم طارت بركاتهم وقلّت
خيراتهم فضحك انوشروان وتعجّب من قولها وانال عن نفسه
ما كان اضمر فی قلبهٔ ثمّ تزوّج بتلك الصّبيّة لحسنها
وذكائها وفصاحتها حكمة يقال انّ الصّادقين من النّاس
ثلثة الانبياء والملوك والمجانين وقيل السّكر جنون وانّ المجنون

نخاف من السكران لان المجنون سكره باطن والسكران جنونه
ظاهر فالويل لمن بقي في سكرة الغفلة كما قال الشاعر

من اسكرته الخمر في غفلة فلا عليه ان ضحى من خجل
ومن يكن بالملك ذا سكرة يصح اذا ما الملك عنه انتقل

والسعيد المقيل من كان في سكر سلطنته صاحيا وكان
المقدم على اعماله ثقة نصوحا معينا على المصالح وعلامة سكر
السلطان ان يسلم وزارته الى محتاج ثم يستدينه ويتمسك به
الى ان تزول حاجته ويستغني ثم يعزله وينصب غيره فيكون مثله
كمثل من يربي طفلا صغيرا الى ان يصير بالغا كبيرا يصلح
للاشغال وامضاء الاعمال ثم يهجره ويستاصله وقيل خمسة
اشياء على الملوك من جملة فرايض وهي ابعاد الجهلة والاراذل
عن مملكتهم وعمارة المملكة بتقريب العلماء والعقلاء
وحفظ المشايخ واولي الحكمة والتجربة والزيادة في المصالح
والاقلال من الاعمال المذمومة وقيل لما تولى عمر بن عبد العزيز
كتب الى الحسن البصري يقول له اعني باصحابك فكتب اليه
الحسن البصري اما طالب الدنيا فلا ينصحك واما طالب
الاخرة فلا يرغب فيك ولا يجوز للسلطان ان يسلم وزارته
ولا عملا من اعماله الى من ليس باهل لذلك فان سلم الاعمال الى
مثل هولاء فقد افسد ملكه واظهر الخلل فيه من كل وجه كما قال
الشاعر

البيت اذا ما حان منه خرابه ظهر التخلل من اساس الحائط
واذا تولى الملك عن اربابه ولي الامور لكل بخس ساقط

وينبغي لمن خدم الملوك ان يكون كما قال الشاعر

اذا خدمت الملوك فالبس من التقى من اعز ملبس
وادخل اذا ما دخلت اعمي واخرج اذا ما خرجت اخرس

واما الذي يعاشر السلطان وينبسط معه فقد ظلم نفسه
ولو كان ولد السلطان فليس للانبساط في خدمتهم وجه كما
قال الشاعر

اذا كنت للسلطان نجلا فداره وخف منه ان احبب راسك يسلم

● ومثل من ينبسط عند
السلطان كمثل الحواء الذي يربي الحيات ويأكل عندها وينام
عندها فانه يكون في اعظم حظر وكرجل يفي البحر يتماسح

التى تقتل الادميّ وتبلعه فانّه لابن ادم ذلك الرّجل بروحه
مخاطر اخطرا عظيما حكمة قيل ويل لمن ابتلى بصحبة السّلاطين
فانهم ليس لهم صديق ولا نسيب ولا خادم ولا ولد ولا احترام
لاحد عندهم الّا من كانوا محتاجين اليه لعلة او لشجاعته
فاذا اخذوا حاجتهم منه لم تبق له عندهم مودّة ولا وفاء و
اكثر اشغالهم رياء ويستصغرون كبار ذنوبهم ويستعظمون
صغار ذنوب غيرهم قال سفيان الثوريّ لا تصحب السّلطان
واياك وخدمته لانك ان اطعته اتعبك وان خالفته قتلك
ولا ينبغى لاحد ان يدخل على الملوك اذا لم يكن له اليهم طريق
حكمة انّ يزدجرد بن شهريار دخل على والدته فى وقت لم
يكن لاحد اذن فى الدّخول اليه فقال شهريار لبهرام امض واضرب
البوّاب الفلانىّ ثلاثين خشبة واطرده عن الباب واقرعوضه
فلانا وكان عمر يزدجرد يومئذ ثلث عشرة سنة فعزل ذلك
الحاجب عن باب الملك ثمّ ان يزدجرد اراد الدّخول على والدته
فى ذلك الوقت فدفعه البوّاب فى صدره وردّه عن الدّخول

الى والدته وقال له ان عدت رايتك ها هنا فى هذا الوقت
ضربتك ستّين خشبة ثلثين لاجل الحاجب المعزول وثلثين
لئلا تعود تدخل على الملك فى غير وقت الدّخول وان كتابنه
فلا تحصل لنفسك الضّرب والهوان والطّرد واصلح الاشياء
للملك ان لا يباشر الحرب بنفسه ويحفظ ناموسه لانّ كثيرا
من الارواح يتعلّق بروحه ويموت بموته ويحيى بحيوته وصلاح
الرّعيّة فى بقائه وينبغى للملك ان لا يجود على نفسه ولا يجود على
النّاس ولا ينبغى للملك ان يتساهل فى الاشغال وينبغى للملك
ان ينام على فراشه كلّ ليلة غيره ويتحوّل الى ذلك المكان
حتّى اذا قصده عدوّه وجد غيره فى مكانه فلا تصل يده
اليه كما جاء فى بعض الحكايات يقال انّ خسرو انهزم من
بهرام وقال هربت لاخلص بهربى ناسا كثيرا من اصحابى فانّى
ان هلكت هلك بسببى الوف كثيرة من الخلايق والمقصود من
هذا المقال انّ زماننا هذا غير موافق والنّاس فيه بين قبيح
الفعل وغافل والملوك مشغولون بحبّ الدّنيا وجمع المال

ولا يجوز التغافل عن اناس السوء ويقال في امثال العرب العبد
يقرع بالعصاء والحر تكفيه الاشارة وهذا المثل يضرب
فيمن له اصل وفيمن لا اصل له وقد كان الناس في وقت وزمان
يومن فيه رجل واحد جميع اهل الدنيا ويسخرهم بدرة كان
يحملها على عاتقه وهو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
والفضل في ذلك الزمان للوقت والرعية واليوم هم مشغولون
بغير شغل اولئك ولو عوملوا بتلك المعاملة لم يحتملوا ولبدا لهم
الفساد لكن ينبغي لسلطان هذا الوقت ان يكون اتم سياسة
واكمل هيبة ليشتغل كل انسان ويشغله ويامن الناس
بعضهم من بعض ونحن نورد خبرا في هذا الباب يستفيد به
القاري والسامع **سئل** امير المؤمنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه لاي سبب لا تنفع الموعظة هؤلاء الخلق فقال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اوصي عنده فانه اشار
باصابعه الثلاث وقال لا تسالوني عن حال اولئك فقال
قوم من الصحابة رضى الله عنهم اشار الى ثلثة اشهر وقال

قوم الى ثلث سنين وقال قوم الى ثلثين سنة وقال قوم ثلثمائة
سنة ولا تسئلوني عن حال اولئك الرجال فاذا كان النبي
صلى الله عليه وعلى اله وسلم قال لا تسئلوني عن حال اولئك
الرجال فكيف تنفع الموعظة فيهم **وسئل** امير المؤمنين
علي بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه عن ذلك فقال كان
الناس في ذلك الوقت نيام وكان العلماء ايقاظا واليوم العلماء
نيام والخلق موتى فاي نفع في كلامنا بميت اما زمانا
هذا فهو الزمان الذي قد هلك فيه اهله جميعهم وقد
خبثت اعمال الناس ونياتهم واذا لم تكن للسلطان سياسة على
الخلايق ولا هيبة لم يثبوا على الطاعة وقال رسول الله صلى
الله عليه وعلى اله وسلم العدل عن الدين وفيه صلاح السلطان
وقوة الخاص والعام وفيه صلاح الرعية وامنهم وطيبتهم
وكل الاعمال توزن بميزان العدل قال الله تعالى والسماء
رفعها ووضع الميزان يعني به العدل وقال عز وجل في موضع

اخر الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان واحق الناس
بالجاه والمملكة من كان في قلبه مكان للعدل وبيته مقر
ذوا الدين وذوى العقل واهل العلم والفضل وصحبته مع
العقلاء ومشورته مع اولى الاراء كما قيل يده خزانة جوده
والقلب حازن فضله قد زينت ابوابه ابدا لطالب عدله
وقال الحسن البصري رحمة الله تعالى كل ملك عظيم اعزّ
الدين كان عند رعيته هيبا عظيم القدر ومن عرف الله
تعالى تعرف الخلق به واختاروا ان يكونوا معارفه
من عرف الله تعالى اسمه اثر كل الخلق عرفانه
طوبى لمن اوى في جاره معرفة الخالق سبحانه
قال بزرجمهر الوزير حكيم زمانه لا ينبغي للملك ان يكون
في حفظ مملكته اقل من البستاني في حفظ بستانه اذا
زرع الريحان ونبت حوله الحشيش استعجل في قلع الحشيش
لئلا يضبط اماكن الريحان قال افلاطون علامة السلطان
المظفر على اعدايه ان يكون قويا في نفسه لازما صمته مفكرا
في رايه ومتدينا بقلبه حلوا في قلوب رعيته رفيقا
في سايراعماله وان يكون عاقلا شريف النفس مجربا للامور
خبيرا بالاحوال صلبا في دينه وعزمه وكل ملك اجتمعت
فيه هذه الخصال كان في عين عدوه مهيبا ولا يجد
العاتب اليه معيبا واذا كان الملك يرى ان حوله وقوته
بالله جلّ عظمته فانه يظفر بعدوه ويبصر عليه لقوله تعالى
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين

حكمة قال سقراط الحكيم علامة السلطان الذي يدوم
ملكه ان يكون الدين والعقل حبيبين في قلبه ليكون
في قلوب الرعية محبوبا وان يكون العقل قريبا منه ليكون
عند العقلاء قريبا وان يكون فضله عزيزا ليعظم عند الفضلاء
والادباء وان يبعد عن مملكته مظهري الغيوب ليبعد عنه
العيوب وكل ملك لم تكن فيه هذه الخصال لا يفرح بملكه
وتسرع اليه دواعي هلكه وتتلف اقرباءه وجلساءه
لان العيب القليل يظهر من عدم العقل قال الشاعر

يقول الحكيم المقال الاسدّ دع المزح اذ لست فيهُ اسدْ
تحفّظ نفسك عن مقلتيك فعينك للملك تحنى الحرد
وحفّ ان شانزعهُ ملكهُ وفي حالة السّخط عنه تعد
فتقتل عن سخطهُ لا لجرم ضياعًا ولبس عليهُ فود
سمعت عن الخمر انّ المليك لينكر عنها قبيل الامد

سال معاوية الاحنف بن قيس فقال كيف الزّمان فقال
الزّمان انسان ان صلحت صلح وان فسدت فسد وقال
الاحنف بن قيس انّ الدّنيا عمرت بالعدل فلذلك تحرّب
بالجور لانّ العدل يضي نوره ويلوح من مسيرة الف
فرسخ والجور يترا كم ظلامهُ ويسودّ قتامه من مسيرة الف
فرسخ قال الفضيل بن عياض لو كان دعائي مستجابا لم ادع
لغير السّلطان العادل لانّ لسّلطان العادل صلاح العباد
وزينة البلاد وجاء في الخبر عن سيّد البشر رسول الله صلّى
الله عليهُ وعلى اليهُ وسلّم انه قال انّ المقسطين على منابر من
نور يوم القيمة يعني العادلين حكايت قيل انه كان للملك

كساسب وزيرا اسمهُ راست روس وبهذا الاسم كان
يظن كساسب انه تقيّ صالح وما كان يسمع فيه كلام
احد ولم يكن فيهُ خير فقال يومًا راست روس لخليفة الملك
انّ الرّعيّة قد بطرت من كثرة عدلنا فيهم وقلّة تاديبنا لهم وقد
قيل اذا عدل السّلطان جارت الرعيّة وقد فاحت فيهم رايحة
الفساد فيجب علينا ان نؤدّبهم ونزجرهم وبعد المتعدّين
ونقرب المصلحين ثم صار كلّ من لزمهُ من الرعيّة يؤدّيهُ ارتشا
واخذ منهُ ما لا واطلقه الى ان ضعفت الرعيّة وضاقت بهم
الاحوال وخلت الخزائن من الاموال فظهر لكساسب عدوّ
فاعتبر خزانتهُ فلم يجد فيها شيئا يصلح بهُ امور عسكره فضاق
صدرهُ فركب يومًا من شغل قلبهُ وسار في البريّة فراى من
من بعيد قطيعا من الغنم فقصدهُ فراى خيمة مضروبة وغلام
نيام وراى كلبًا مصلوبًا فلمّا قرب الى الخيمة خرج منهُ شابّ
فسلّم عليهُ وسالهُ النزول فنزل فاكرم وقدم اليهُ ما حضر
من الطّعام فقال كساسب اخبرني عن حال هذا الكلب

وصلبهُ قال يا مولاى انّ هذا الكلب كان اميناً لى على اغنامى
فصادق ذئبة فصار ينام معها ويعاشرها والذئبة كلّ يوم
تاخذ راسًا بعد راس فجاء الى صاحب الموضع وطلب منّى حقّ الاغنام
واجرة المرعى فعدّ ثلث الغنم وحسبها فاذا هى باقصة فراث دبا
فداخذ شاة وذهب بها والكلب ساكت ينظره وهو تحابيهُ
فعلمت انّه كان سبب تلاف الغنم وانّه خان امانته فاخذته وصلبته
فاعتبر كساسب وجعل منهُ يفتكر فى نفسهُ وقال ربّنا
اغنا منا فيجب ان نسال الخبر ايضا عنها لنصل الى حقيقة امرها
فرجع الى دارهِ ينظر فى الشرور اث واذا هى جميعها شفاعات
راست روس فضرب مثلا وقال من اغتر بالاسم من ذوى الفسام
بقى بغير زاد ومن خان فى النّاد بقى بلا روح وامر بصلب
ذلك الوزير وفى ذلك يقول الشّاعر

وما انا بالمغترّ باسمك انّما سميت لكى تختال فى طلب الزرق
ومن يجعل الاسماء فخّا لرزقهُ يعد غير ذى روح على الخدع مستلقى

حكاية كان الاسكندر يومًا على تخت ملكهُ وقد رفع الحجاب

ففدّم بين يديهِ لصّ فامر بصلبهُ فقال اللّص ايّها الملك انّى سرقت
ولم تكن السّرقة من قلبى ولم تكن لى فيها حاجة فقال الاسكندر
لاشكّ انّك تصلب ولا حاجة لك فى الصّلب ولا تريدهُ ولا
يطلبهُ قلبك فواجب على السّلطان ان يعدل وينظر غاية
فيما يامر بهِ من السّياسة لينفذ ذلك فى اصحابهِ مثل وزيرهِ
وحاجبهِ ونايبهِ وعاملهُ لانّ كثيرًا من سياسة السّلطان
وعدلهُ ونظره وحسن تاملهُ يعطى عليهِ البراطيل وذلك
من تهاون الملك وغفلتهُ فينبغى ان يجتهد الملك غاية الاجتهاد
فى تدارك الامر واهلاك المفسد **حكايت** قيل انّه كان لعمرو
بن ليث نسيب يعرف بابى جعفر بن زيد وكان عمرو بهِ حفيًا
ومن جملة محبّتهُ لهُ انّه كان يصلهُ فى كلّ سنة بمايتى جمل حمل الوبر على
كلّ جمل حمل من الحوايج يحملها الى دار ابى جعفر مساعدة لهُ فى
مطبخهِ فقيل يومًا لعمرو بن ليث انّ ابا جعفر قد بطح غلامًا لهُ
وضربهُ عشر بن خشبة فامر ان يحضر ابو جعفر وامر باحضار
كلّ سيف فى خزانتهِ وقال لهُ يا ابا جعفر اختر من هذهِ السّيوف

اجودها واعزله ناحية عنها فجعل ابو جعفر يتخير وينتضي الى ان
افرد مائة سيف فقال اختر من المائة سيفين اجودها ففعل
ثم قال اجعلهما في قراب واحد فقال ابو جعفر ايها الامير كيف
يمكن هذا سيفين في قراب واحد لا يكون ذلك فقال عمرو بن
ليث يمكن امير ان في بلد واحدٍ فعلم ابو جعفر انه قد اخطأ
فقبل الارض بين يديه والتمس العفو والاقالة فقال عمرو
بن ليث لولا حق القرابة ما سامحتك فخل عن هذا الامر لنا فقد
عفونا عنك هذه المرة **حكمة** قال اردشير كان للملك
من اصلاح خواصه ومنعهم عن الظلم فكيف يقدر علي ردّ
العوامّ الى الصّلاح قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
والعرب تقول شئ اضيع للملك وافسد لاحوال الرّعيّة ممّن
يقدر على الاذن بالدّخول ويمنع اصحاب الحوائج عنه فاذا
كان الملك سهل الحجاب لم يتمكن العمّال ان يجوّروا على
الرّعايا من ظلم بعضهم لبعض ويسهو له الحجاب يكون للملك
على سائر الاعمال اطلاع ولا يجوز للسّلطان ان يكون غافلاً

ليكون الهيبة من ناموس المملكة باقية ويستريح من
الامور الحادثة عن الغفلة والنسيان **حكايت** يقال ان
اردشير كان متيقّظا ذا ذكاءٍ وفطنة في امورٍ
بحيث انّه كان اذا جاءه ندماء من الغد حدّثهم وقال
لكلّ واحدٍ ما يصنعه في بيته فكان يقول لاحدهم
اكلت البارحة كذا وعملت في بيتك كذا وكذا
ونمت مع زوجتك ومع جاريتك الفلانية وكلما
يعملون في بيوتهم يحدّثهم به من الغد بحيث انّهم كانوا
يظنون ان ملكا من السّماء ينزل ويخبره بافعالهم
وكذلك كان السّلطان محمود **حكمة** قال
ارستاطاليس خير الملوك من يكون نظره على مثل العقاب
كالعقبان لا على الجيف يعني اذا كان السّلطان
بعيد النظر ذا يقظة بالامور وفكر في العواقب وكان
المقرّبون منه وخواصّ دولته بهذه الصّفة انتظمت
احوال مملكته واستقامت امور اهله ورعيته **حكمة**

قال الاسكندر خير الملوك من بدّل السيّئة بالحسنة وشرّ
الملوك من بدّل الحسنة بالسيّئة **حكمة** يقال ثلثة لا يجوز
للملك التجاوز عنهم ولا الصّفح عن ذنوبهم من قدح في
ملكه او افسد حرمته او افشى سرّه قال سفيان الثوري
خير الملوك من جالس اهل العلم ويقال انّ جميع الاشياء
تجمّل بالنّاس والنّاس يتجمّلون بالعلم ويعلوا قدرهم بالعقل
وليس شيء خير من العلم والعقل لانّ العلم بقاء العمر ولهُ
والعقل بقاء السّرور ومن اجتمع فيهُ العلم والعقل اجتمعت
فيهُ اثنا عشرة خصلة العفّة والادب والتّقى والامانة
والصّحة والحياء والرّحمة وحسن الخلق والوفاء والصّبر والحلم
والمداراة في بمكانها وهذهُ من خواصّ اداب الملك وينبغي
ان تعلم انّ هذهُ الآداب تحتاج الى نظايرها وقوانينها ليصحّ
استعمالها وينبغي ان يكون مع العلم العقل ومع النّعمة
الشّكر ومع الصّباحة الحلاوة ومع الاجتهاد الدّولة واذا
جاءت الدّولة حصل المراد جميعهُ **حكايت** قال عبد الله

بن ظاهر انّ يعقوب بن ليث انّما علا امرهُ وارتفع قدرهُ وظهر
اسمهُ وذكرهُ وملك كرمان وسجستان وفارس وخوزستان
وقصد العراق وكان الخليفة في ذلك الزّمان المعتمد
فكتب اليهِ المعتمد انّك كنت رجلا صفّارا فمن اين تعلّمت تدبير
الملك فكتب اليهِ يعقوب جوابا وقال انّ المولى الذي اعطاني
الدّولة اعطاني التّدبير وفي عهدا ردشير مكتوب كلّ عزّ
لا يضع قدمهُ على بساط العلم كانت عاقبتهُ ذلّا وكلّ عبدٍ
ليس معهُ خوف من الله تعالى وان كان تامّا فانّ مصيرهُ
الى النّدم **حكمة** قال عبد الله بن ظاهر يوما لابيهِ اتبقى
الدّولة فينا وتدوم قال ما دام بساط العدل والانصاف
مبسوطا في هذا الايوان **حكمة** كان الخليفة المامون
قد جلس في بعض الايّام لفصل الدّعاوي والاحكام
فرفع رجل قصّة فسلّم الوزير الفضل بن سهل وقال لهُ افض
حاجة صاحب هذهِ القصّة في هذهِ السّاعة فانّ سرعة
الفلك في دورانهِ اقلّ من ان تثبت على حال قال مولّف هذا

الكتاب يجب على الملوك العقلاء والافاضل الالباء ان
ينظروا في هذه الحكايات ليأخذوا نصيبا من ايام دولتهم
وينصفوا المظلومين ويقضوا حوايج اصحاب الحوايج وليثقوا
ان هذا الفلك لا يثبت على دور واحد لانه لا اعتماد على الدولة
وان القضاء السماوي لا يرد بالعسكر وكثرة الاموال و
والذخائر واذا انحلت الدولة تلاشت الاموال وتفانت
الرجال كما لا ينفع الندم اذا زلت القدم **حكمة** يقال ان
ملوك العجم كانوا اذا ارسلوا رسولا الى الملوك ارسلوا معه
جاسوسا ليكتب ما يقوله وليسمع منه فاذا عاد الرسول قابلوا
كلامه بالنسخة التي كتبها الجاسوس فاذا علموا صحته
وثقته ودينه وامانته علموا انه لصادق فكانوا بعد
ذلك يرسلونه الى اعدائهم **حكايت** ارسل الاسكندر
رسولا الى الملك العادل دارا فلما رجع الرسول اعاد
الجواب فشك الملك الاسكندر من كلامه بكلمة واحدة
فلزمها عليه فقال الرسول ايها الملك اني سمعت هذه الكلمة

باذني فامر الاسكندر ان تكتب تلك اللفظة بعينها وتنفذ
على يد رسول اخر الى دارا بن دارا فلما وصل الكتاب اليه وعرض
عليه قفراه ثم طلب سكينا وقطع تلك الكلمة من الكتاب
واعاده الى الاسكندر وكتب اليه ان راس الملك على حسن
سنة الملك وصحة طبعه واساس صحة السلطان على صحة
لفظ الرسول وصدق مقالة الرسل الامناء لان الرسول
يقول ما يقوله على لسان السلطان ويسمع ما يسمعه من الجواب
بسمع الملك والان فقد قلعت تلك الكلمة من الكتاب
لانها لم تكن كلامي ولم اجد سبيلا الى قطع لسان رسولك فلما
عاد الرسول وقرا الاسكندر الجواب طلب الرسول الاول
وصاح عليه وقال له ما حملك ان تقول على لسان السلطان
وتسمع تلك الكلمة وما حملك على تلاف ملك الملوك بتلك
الكلمة التي تكلمت بها فاقر الرسول وقال انه قصر في
حقي واسخطني فقال الاسكندر سبحان الله اظننت انا ارسلناك
لنصلح امورك ونسعى في خراب المملكة ثم امر فسل لسانه من قفاه

فصل ويجب على السلطان انه متى ما وقعت رعيته
في ضائقة او حصلوا في شدة او قافة ان يعينهم لاسيما
اوقات القحط وغلاء الاسعار حيث يعجزون عن التشبب
فينبغي يومئذ ان يعينهم بالطعام ويساعدهم من خزانته
بالمال ولا يمكن احدا من حشمه وخدامه واصحابه واتباعه
ان يجوروا على رعيته لئلا تضعف الناس ويثقلوا الى غير
ولايته من الجوع والقحط والجور فينكسر ارتفاع السلطان
ويقل حاصل الديوان وتعود المنفعة على ذوي الاحتكار
والذين يسرون بغلاء الاسعار ويقبح ذكر الملك وبان يدعى
عليه ولاجل هذا كان الملوك المتقدمون يحذرون من هذا
غاية الحذر ويراعون الرعايا من خزاينهم ويساعدونهم
من ذخائرهم ودفائنهم **حكايت** يقال انه كان رسم ملوك
العجم ان ياذنوا الرعايا هم في الدخول اليهم في ايام النيروز
وكان المنادي ينادي قبل ذلك بثلثة ايام استعدوا واليوم
الفلاني ليأخذ كل من الناس اهبته ويصلح امره ويتفقد

حجته ومن كان له خصم يعلم انه يتالم منه عند الملك
طلب رضاه واذا كان ذلك اليوم وقف المنادي على باب
الملك ونادى ان منع اليوم انسان لانسان من الدخول
كان الملك بريا من دمه ثم كان توخذ القصص
من الناس وتوضع بين يدي الملك وكان الملك ينظر في كل
واحدة على الافراد ومؤيد مؤيدان قاعد عن يمينه ومؤيد
مؤيدان عن شماله ويسالهم قاضي القضاة فان كانت في
القصص قصة يتالم فيها من الملك قام الملك من مكانه ونزل
بين يدي مؤيد مؤيدان يقابل خصمه وقال ايضا وللاهذا
الرجل مني ولا تخلد الى الميل والمحاباة ولا تخترني على نفسك
لان الله تعالى اذا اهدى الحظوظ الى عباده اختارهم وولى
عليهم خير خلقه واذا اراد ان يري عباده اي قدر لذلك
الخليفة عنده اطلق على لسانه ما يطلق على لسانك ثم كان
ينظر مؤيد مؤيدان فان كان بين الملك وبين خصمه دعوى
صحيحة وقامت البينة على الملك اخذ الحق منه بتمامه وكماله

فان لم تكن بين الملك وبين خصمه دعوى صحيحة وكانت
دعوي باطلة لاثبت على صحتها حجة امر بعقوبته ونادي
عليه هذا جزاء من يريد عيب الملك والمملكة وكان الملك
اذا فرغ من الدعاوى واستوى على سرير ملكه ووضع
التاج على مفرقه اقبل على جماعته وخاصته وقال انى
انما انصفت من نفسي ليلا يطمع احد في الظلم والجور علي
احد وكل من كان منكم له خصم فليرضه وكان يبعد
في ذلك اليوم من كان قريبا ومن كان قويا ضعف
عنده وكانت الملوك على هذا السبيل وعلى هذا المذهب الى
ايام يزدجرد فانه غير قواعد ملوك بني ساسان فظلم الخلق
وافسد حتى جاء بعض الايام فرس في غاية الكمال والجودة
بحيث انه لم يوجد في ذلك الزمان فرس مثله في حسن خلقته
وجمال هيئته فدخل من باب داره واجتهد جميع من في
معسكره ان يلزموه فامتنع عليهم ولم يقدروا على امساكه
حتى وصل قريبا من يزدجرد فوقف الى جانب الايوان ساكنا

فقال يزدجرد تخواعر هذا الفرس ولا يقربه احد
منكم فانه هدية من الله تعالى خاصة وفرض
من مكانه وجعل يمسح وجهه قليلا قليلا ثم امر يده على ظهره
والفرس ساكن لا يتحرك فاستدعي يزدجرد السرج واسرج
بيده وجذب حزامه واوثقه وانحرف نحو كفله ليضع
الثفر فرفسه الفرس على فواده رفسة محكمة فخر ميتا في
الحال وخرج الفرس ولم يعلم احد من اين جاء ولا الى اين
ذهب فقال الناس هذا الفرس كان ملكا ارسل
الله تعالى ليهلكه ويخلصنا من جوره وظلمه قال
القاضي ابو يوسف حضر عندي في المجلس المحكم يحيى بن
خالد البرمكي مع خصم له مجوسي فادعى عليه المجوسي فطلبت
منه الشاهد فقال ليس لي شاهد فحلفه فحلفت يحيى
وارضيت خصمه باحلافه وساويت في الحكم بين يحيى
بن خالد وبين المجوسي لعزة الاسلام وما ملت قط ولا خفت
احدا خوفا من ان يسلبني الله تعالى عز ذلك فيجبان

ان يعرف فدنه الزعما والاكابر وينبغي للاكابر
ان لا يظلموا اصاغرهم وان يعظموا امر الحق ويطيعوا
السلطان ولا يعصوه في حال ليكونوا قد عملوا
بقول الله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر
منكم ومن جعل الله تعالى له المرتبة الشريفة
والدرجة المنيفة ويقرن طاعته بطاعته جل اسمه
وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فالواجب على الخلق
ان يطيعوه ولا يخافوه ويجب على السلطان شكر هذه
المنة والطاعة لربه وامتثال ما امر به من العدل و
الاحسان والرافة بالمظلومين فقد قيل احذروا
من دعاء المظلوم وخافوا من ظلم من لا ينتصر
من ظلمه الا بدمع عينه فما دون دعاء المظلوم حجاب
ودعاؤه مستجاب ولا سيما الدعاء في الاسحار
والتضرع في هدوء الليل الى الجبار لقوله صلى الله
عليه وعلى اله وسلم اتق دعاء المظلوم فانه بينه وبين

الله حجاب **وقال الشاعر**

فلا تعجلن بالجور ما دمت قادرا ... فآخره اثم وخوف عقاب
تنام وما المظلوم عنك ببائم ... ودعوته لا تنثني بحجاب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تاسف لموت اربعة
من الكفار انوشروان لعدله وحاتم الطاي لسخائه
وامرء القيس لشعره وابي طالب لبره • والحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه
وسلم تسليما • تم في سنه
ست عشر وتسعمائه
بعون الملك
المعين